خطبة الجمعة وشروط نجاحها في ظل المتغيرات المعاصرة

The Friday Religious Sermon in Islam: Successful Settings in the Present-Day Condition

ناصر الدين الشاعر

Naser Aldeen Al sha`er

قسم الفقه والتشريع. كلية الشريعة. جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين.

بريد الكتروني: nasershaer@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٠٠٧/٩/٣٠). تاريخ القبول: (٢٠٠٨/٤/١٠)

ملخص

يناقش هذا البحث الخطابَ الديني الذي تقدمه خطبةُ الجمعة، مُستقصياً المواصفات الأساسية للخطبة كما وردت في المصادر الإسلامية، مقدمة لتحديد العناصر الجوهرية لنجاح الخطاب الديني في ظل التغيرات والأحداث التي عصفت بالمنطقة والعالم وعلى ضوء التطورات الهائلة التي جعلت العالم قريةً كونيةً مكشوفة الفضاء. وهو ما يحتم على الخطيب أن يكون أهلاً للمسئولية مثقفاً وغير معزولٍ عما يجري في موطنه وفي العالم وغير عاجز عن استخدام لغة العصر وأدواته حتى يمتلك القدرةَ على التأثير والتغيير والإسهام في تحقيق شروط النهضة والتقدم. وبالتأكيد، فإن الدراسة تعالج الواقعَ الحالي للخطباء بهدف تقييم هذا الواقع ووضع المقترحات العملية للنهوض بالخطاب الديني المنبري وتحديد أولوياته، خاصة في ظل التفرق والتشرذم الداخلي وفي ظل حالة التخلف الحضاري الذي تعاني منه بلادُ المسلمين في وقتٍ يَشهدُ فيه العالَمُ نهضةً واسعةً متعددةَ الأوجُهِ والمجالات.

Abstract

The research discusses the Friday sermon in light of the present day condition. It returns back to the components of the speech in the Islamic tradition in an attempt to measure their bearing on the present practices of Friday speakers. The research probes the issue of Friday speech relevance to contemporary global debating. The research relies on data collected via a questionnaire that is meant to determine actual speaker practices during Friday speeches. Finally the research offers solutions to challenges faced by speakers when dealing with contemporary issues relevant to every day events in the world of today.

المقدمة

أولاً: موضوعُ البحث

يناقش هذا البحثُ الخطبة المنبرية وما ينبغي أن تتمتع به من مواصفات رئيسية ذكرتها المصادر الإسلامية ذات الصلة، وما ينبغي أن تكون عليه اليوم في ظل التغيرات الكونية الهائلة التي اجتاحت العالم سواءً في مجال الأفكار والمذاهب وصراع الحضارات وتزاحم العادات والأعراف والتقاليد أو في مجال النفوذ والتنافس على الثروات. خاصة وأن هذا الصراع يأتي في ظل الضخ الإعلامي الموجّه الذي يسيطر على الفضاء كله، عبر سطوة إعلامية طاغية لفريق من البشر يسعى للتفرد بالعالم والسيطرة على قراره ومقدراته معاً، بينما المسلمون في سباتٍ عميق لا يملكون من أمرهم شيئاً بل ولعلهم يتحركون في خطوط متعاكسة يلغي بعضها بعضاً. وهو ما يحتم ضرورة مراجعة منظومتنا التوجيهية والإعلامية لفحص مدى قدرتها على مواكبة التغيرات، بما في ذلك الخطاب الديني وما يقدمه المنبر للناس من تعبئة وتوجيه، ومدى مناسبة ذلك للإسهام في تحقيق شروط النهضة.

ولا شك أن الخطاب المنبري يبقى من أبلغ وسائل الإعلام والتوجيه تأثيراً في المجتمعات الإسلامية، سواءً لغرض تحقيق التواصل بين المسلمين ومبادئ دينهم العظيم، أو لغرض معالجة الواقع المعاش ومناقشة سبل النهوض به، أو لغرض إيجاد التوجهات الشعبية والتأسيس للقناعات العامة تجاه ما يدور في المنطقة والعالم. ويجب أن لا نتجاهل ما يتمتع به المنبر من قدسية دينية توفر له الضمانة اللازمة للتأثير في نفوس السامعين وسلوكهم، وهو ما يؤكد أهمية المنبر، وضرورة فحص الخطاب الحالي الذي يقدمه للناس، لمعرفة مدى اتصافه بالمواصفات الرئيسية التي وضعها العلماء، ولمعرفة مدى صلاحية هذا الخطاب وقدرته على مواكبة المتغيرات ومعالجتها.

من أجل ذلك كانت هذه الدراسة، لفحص الخطاب القائم، ولتقصي المعايير التي وضعها العلماء للخطاب الناجح، مقدمة لوضع التصورات العملية للنهوض بهذا الخطاب. وليس بعيداً عن ذلك، فحص مدى نجاعة كليات الشريعة في إيجاد الخطيب القادر على تمثل الدين بصورته المشرقة، ولفحص قدرتها في تزويد الخطيب بروح البحث والمتابعة والتحليل، فضلاً عن تزويده بملكة الاجتهاد وبالملكة اللغوية اللازمة لعرض أفكاره. وهو ما يؤكد أهمية هذه الدراسة وما تتضمنه من نتائج وتوصيات بهدف النهوض بالخطاب الديني حتى يكون قادراً على مواكبة العصر ومتطلباته وقضايا المجتمع المتجددة.

والدراسة تنطلق من عدد من المقدمات وصولاً إلى غايتها. فهي تستقصي مواصفات الخطبة الناجحة وشروطها كما وردت في المصادر الإسلامية، فضلاً عن البحث في الخطابة باعتبارها فناً قائماً بذاته. كما أنها تسعى لتحديد صورة الخطاب الديني القادر على تمثل الإسلام بسعته وشموليته وتوازنه، وهو ما يقود إلى ضرورة فحص الخطاب الديني القائم لمعرفة مدى صلاحيته ولتحديد عناصر القوة والضعف فيه ولفحص مدى قدرته على مواكبة العصر وقضاياه

وذلك في كل محطات البحث حتى يكون البحث ملامسا للواقع وغير محصور في المجال النظري. ذلك بالإضافة إلى فحص أداء كليات الشريعة ومعاهدها.

وبالتأكيد، فإن لكل جانب من هذه الجوانب أو المحاور، عدداً من المراجع التي يُلخص بعضها تجربة هذا الكاتب أو ذاك. ولا شك أن هذه الدراسة تجد ضالتها في تلك التجارب للبناء عليها والانطلاق منها، وصولاً إلى أفضل النتائج. فبالإضافة إلى كتب الفقه والحديث والسيرة التي ناقشت الموضوع في بعض أبوابها، كما في مباحث صلاة الجمعة وخطب الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالإضافة إلى الكتب التي تخصصت في أساليب الدعوة والوعظ والإرشاد وفي صفات الداعية وفي آداب الوعظ والإرشاد وفي أساليب تدريس الدين، وبالإضافة إلى الكتب التي تخصصت بجمع نماذج من الخطب المنبرية الشهيرة لهذا العالم أو ذاك، بالإضافة إلى كل ذلك، هنالك كتب في الخطابة وأصولها، ككتاب "الخطابة" للإمام أبي زهرة، و "كيف تكون خطيباً" للشيخ علي رفاعي، و"فن الخطابة" لدايل كارنيجي. وحول مواكبة الخطاب الديني للعصر ومفرداته وقضاياه، صدر كتاب "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة" للدكتور يوسف القرضاوي. وفي مجال فحص أداء الخطباء وفحص دور كليات الشريعة ومعاهدها في إنتاج خطباء قادرين على القيام بالأدوار المنوطة بهم، صدر للباحث كتاب "الأئمة والوعاظ في فلسطين بين الواقع والطموح". وهي الكتب التي ستكون منطلقات للباحث.

ثانيا:واقع الخطاب المنبري المعاصر يبرر الدراسة

مما يزيد في أهمية هذا البحث، أن الخطاب المنبري في هذه الأيام، وحسب الكثيرين، قاصر عن القيام بدوره المنشود، وهو ما يعني التفريط بأكبر أداة توجيهية تهيأت للمسلمين، وكان من المفترض أن تُسهم في النهوض بالمجتمع وفي توجيهه الوجهة السليمة تجاه كل ما يدور فيه وحوله. هذا القصور يعود لجملة عوامل. بعض تلك العوامل يعود إلى الخطيب الذي يتصدر المنبر وإلى طبيعة الخطاب الذي يقدمه للناس. فمن الخطباء من لا يملك موهبة الخطابة ولا يتحلى بالمقومات الأساسية للخطيب أصلا. ومنهم من يعيش بعقله وفكره وخطابه خارج الزمان الذي نحياه. وهو ما يؤكد استحالة نجاح هذا الفريق في معالجة قضايا الساعة. فهو ليس جزءاً من تلك القضايا ولا يعرف عنها شيئاً. ذلك أنه حبس نفسه في الماضي عازلاً نفسه عن الواقع وحارماً نفسه من التفكير بشأن المستقبل. ثم إن قضايا العصر هي من جنس المستجدات التي تنتظر الاجتهاد بخصوصها، وهو الأمر الذي يستحيل النجاح فيه إلا لمن توفرت لديه ملكة الاجتهاد وأدواته من علوم الشريعة واللغة، ومن قدرة ذهنية مميزة، فضلاً عن الإحاطة بالواقع ومكوناته. وهي الأمور التي يفتقر إليها بعض الخطباء مما ينعكس سلباً على خطابهم، ذلك فضلا عن أن بعضهم يقف لارتجال المعلومة كما يرتجل الكلمات. ثم ما هو نوع الخطاب الذي يقدمه بعضهم للناس؟ هل هو خطاب شرعي شمولي متوازن علمي عملي عالمي وعظي تعليمي عصري منطقي أم هو على النقيض من ذلك؟ وهل هو خطاب وطني وحدوي في هذا الزمن الذي تسوده الصراعات والتناقضات أم أنه خطاب يسهم في تعميق الخلاف على حساب الأمة وقضاياها؟ هذه التساؤلات لا مجال لتجاهلها، وذلك بهدف التعرف على جوانب الضعف التي تحتاج إلى معالجة. فدراسة الواقع شرط لازم للتفكير بالعلاج المناسب. ذلك بالإضافة إلى ضعف

تحلي بعض الخطباء بالصفات الأساسية سواء على مستوى امتلاك المعرفة والمعلومة أو على مستوى الأداء والإلقاء أو على مستوى القدوة الحسنة، وهي جميعها شروط أساسية لنجاح الخطيب [(١)].

ولا شك أن الحديث عن ضعف الخطباء ليس جديدا. فقد تحدث عن ذلك العلماء من زمن الوعاظ الذين كان بعضهم لا يبالي حتى بصحة الحديث موغلا في السجع والمبالغة وربما في الكذب أحيانا لحمل الناس على ما يريد. ففي فقه السنة [(٢)]: كانت خطب الرسول تقريرا لأصول الإيمان وتذكيرا بالجنة والنار فيملأ القلوب إيمانا وتوحيدا ومعرفة بالله لا كخطب غيره التي يخرج السامعون لم يستفيدوا منها شيئا حيث صارت الشرائع مجرد رسوم من غير مراعاة لمقاصدها ورصعوا الخطب بالسجع والبديع فنقص حظ القلوب منها وفات المقصود.

وفي هذه الأيام كثرت الأصوات التي تطالب بالرقي بالخطاب الديني عامة والمنبري خاصة في غالب بلاد المسلمين. وهو ما يشير إلى وجود خلل لا بد من معالجته. والحديث هنا ليس عن المحاولات الموجهة لغرض تدجين الدين وحرفه عن صورته المشرقة، إنما عن الأصوات الناقدة التي تسعى إلى معالجة الواقع والنهوض به من خلال رؤية صحيحة للدين بعيدا عن الأفهام السقيمة. ولا شك أن نظرة وصفية إلى واقع الخطاب الديني ستكشف عن جوانب عديدة من الخلل. وبلدان العالم الإسلامي تكاد تكون في هذا العيب سواء حتى وإن ظهرت فروق بينها في حجم انتشار هذا العيب أو ذاك لديها. ويبقى الخلل خللا سواء انتشر هنا أو هناك. والمطلوب رصد مجمل هذه العيوب ومعالجتها بقطع النظر عن مكان انتشارها. وهو ما تسعى هذه الدراسة لتحقيقه من خلال صفحاتها المحدودة.

وللتمثيل على هذه العيوب، وحتى لا يبقى الكلام مجرد افتراضات قابلة للتشكيك، وحتى لا يكون الحكم على الأشياء مرتكزاً على التوهمات الظنية، فمن المفيد هنا، وعلى سبيل التمثيل، الإفادة مما توصلت إليه دراسة كان الباحث قد أجراها على الخطباء في محافظة نابلس بفلسطين، والتي ظهر من خلالها جملة من النتائج التي يمكن الإشارة إلى أهمها هنا [(٣)]. فقد تبين أن ١٨% من الأئمة يحملون شهادة الثانوية العامة أو دون ذلك، وأن حوالي ١٢% من حملة الشهادات ليس تخصصهم في علوم الشريعة، وهو ما يجعل حملة شهادة الشريعة يشكلون حوالي ٧٠% من المجموع العام للأئمة في وقت أصبح فيه التخصص لغة العصر وسر النجاح. وإذا كنا نقدم للمحاكمة أي شخص يكتب وصفة طبية إذا لم يكن متخصصاً ويحمل ترخيصاً بذلك، فلماذا نسمح لغير المتخصص بالشريعة أن يعتلي المنبر ليخطب في الناس ويفتي لهم. ثم إن أية تعيينات من غير المتخصصين هي على حساب المتخصصين في فرص عملهم ومعاشهم. وكما أثبتت الاستبانة، فإن الأوقاف وكذا التربية والتعليم، لا زال كل منهما بدرجة ما، يسند تدريس العلم الشرعي إلى غير المتخصصين لأسباب قد يكون بعضها سياسياً حزبياً. ولا يتوقف الأمر عند

---

(١) القرني. (٢٠٠١). مملكة البيان. ص٧-٩.
(٢) السيد سابق، فقه السنة. ٢٢٤/١ ناسباً ذلك القول لابن القيم.
(٣) قام الباحث بذلك في النصف الثاني من العام ٢٠٠٤م.

التحصيل الجامعي. فالخطابة بحاجة لأن يكون الخطيب متابعا للتحصيل العلمي والمعرفي بعد تخرجه من الجامعة كشرط لنجاحه في مهنته. فقد تبين أن ثلاثة أرباع الأئمة، قد انقطعوا عن الدراسة المنتظمة منذ أكثر من عشر سنوات، ثم تبين أن حوالي نصف المبحوثين لم يقرءوا خلال نصف سنة ما يزيد عن جم كتاب من خمسمائة صفحة، وأن ١٥% لم يقرءوا شيئاً، وأن أكثر من ثلث الشريحة لا تقرأ من القرآن إلاّ بمعدل جزء أو جزأين طيلة الأسبوع، وأن ٣٨% يقولون إنه لا قيمة للصحف، وأن حوالي النصف لا يقرءون الكتب والمجلات الحديثة. وبخصوص الحاسوب، فقد تبين أن نصف الشريحة لا تملكه في بيتها. ولا شك أن هذا يعطي انطباعاً سلبياً عن مدى اهتمام الأئمة بتطوير أنفسهم، وهو ما ينعكس سلباً على أدائهم، وبالتالي لا بد من البحث في سبل معالجة ذلك بالتنسيق بين وزارة الأوقاف وكليات الشريعة، علماً بأن الوزارة تملك السلطة لحمل الأئمة على تطوير أنفسهم كما هو الحال في كل وزارة مع موظفيها. وفيما يتعلق بالتعيينات والتشكيلات، فقد طالب الأئمة بأن تكون مهنية وموضوعية، حيث يرى الكثيرون منهم أنها تقوم على "المحسوبيات" الشخصية والسياسية. وهي ظاهرة تدق ناقوس الخطر ولا يجوز تجاهلها، خاصة وأننا نتحدث عن مؤسسات تعنى بالشأن الإسلامي والقائمين عليه، فينبغي أن تكون مثالاً للموضوعية وحسن الأداء، وليس كالمؤسسات التي ينخرها الفساد والترهل والمحسوبية بأنواعها المختلفة. وبخصوص كليات الشريعة ومعاهدها، فقد تبين أن غالبية الأئمة غير راضين عن أدائها. فقد قال ١٣% فقط إن دورها مفيد في تنمية أدائهم الوظيفي وأسلوبهم الخطابي، بينما قال ٤٠% إنها تعطي المعلومات المجردة ولا تسهم في تطوير القدرات العلمية والعملية اللازمة لمهنتهم. وهو ما يحتم على كليات الشريعة مراجعة خططها وبرامجها بل وأداء مدرسيها ما دامت غالبية الأئمة تتذمر مما هو قائم اليوم. لذا، فقد طالب الكثيرون كليات الشريعة بضرورة التركيز على الجوانب العملية من خطابة وتدريس وغيرهما، وعقد دورات لذلك، بالتنسيق مع الأوقاف والتربية والتعليم والمحاكم، حتى لو أدى ذلك إلى إجراء تعديل في المناهج التعليمية لكليات الشريعة، خاصة مع الإشارة إلى وجود خلل فاضح فيما يتعلق باللغة العربية، مع أن اللغة هي أداة الخطيب الأساسية لتوصيل أفكاره. بل لقد طالب الأئمة بمراجعة المساقات الفقهية وطرق تناولها للتركيز على ما يلزم الناس ويجيب على تساؤلاتهم ويعالج قضاياهم المعاصرة بدل اجترار قضايا تراثية لا وجود لها في عصرنا الذي نحياه. ووسط قبول كليات الشريعة لأصحاب المعدلات المتدنية، دعا بعض التربويين إلى استقطاب الطلبة المتفوقين لدراسة الشريعة، حتى يأتي للشريعة من لديه القدرة العقلية اللازمة للفهم والاستيعاب والاجتهاد بدل أصحاب القدرات العقلية المحدودة العاجزة عن الاجتهاد ومواكبة المستجدات. كما ينبغي على كليات الشريعة غرس صفة المطالعة في نفوس الطلبة، حتى تصبح القراءة عادة دائمة تلازمهم بعد التخرج، مع السعي إلى تدريبهم على استعمال أدوات البحث الحديثة كالحواسيب وما فيها من مواقع علمية. يضاف إلى هذا أن تُصدر كليات الشريعة نشرات دورية تعالج قضايا مجتمعية يحتاج إليها الأئمة وتساعدهم في الإجابة على تساؤلات الناس.

ثالثا: تقسيم البحث

يشتمل هذا البحث على مقدمة في موضوع البحث وأهميته وسبب اختياره، وعلى أربعة مباحث، وخاتمة. أما المبحث الأول فهو في صفات الخطبة كما وردت عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. وأما المبحث الثاني فهو في صفات الخطيب والآداب التي ينبغي أن يتحلّى بها. وأما المبحث الثالث فهو في صفات الخطبة الناجحة في الشكل والمضمون في أربعة عشر مطلبا. وأما المبحث الرابع فهو في الخطاب الديني المنبري في ظل المستجدات المعاصرة ومخرجات العولمة. ثم تأتي الخاتمة لأهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: صفات الخطبة كما وردت عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

لما كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى للإنسان الكامل، تستظل بصفاته وتصدر عن كمالاته كل صفات الروعة والإبداع والعظمة والعبقرية في البشرية طراً، وقد صنعه الله تعالى على عينه واصطفاه وصفاه وجعله على خلق عظيم.. ولما كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو القدوة للمسلمين في هذا الباب كما في كل باب.. فإن الواجب على الخطيب ابتداءً أن يبحث في هيئة خطابه عليه السلام للتأسي به [1]. فالرسول عليه السلام أشهر من خطب وأبلغ من تكلم وأحكم من وجّه القلوب إلى الخير والفضيلة. فقد آتاه الله تعالى الحكمة وجوامع الكلم حتى كان أفصح العرب والعجم طُراً، أوتي المهابة، وغشي الله كلامه بالقبول، وجمع له ما بين المهابة والحلاوة، فلم تسقط له حجة، ولم تعثر له كلمة [2] .بل كانت للمنابر هزة إذا خطب وللقلوب بكاء كما يقول شوقي، وهو المقصد الأصلي من الخطاب للتأثير في السامعين وحملهم على التزام الحق الذي يدعو إليه. فقد كان عليه السلام إذا خطب أثر في السامعين بصوته المرتفع وكأنه منذر جيش، وكان يبدأ خطبته بحمد الله تعالى وبالتشهد والثناء عليه، وكان يقول بعد الثناء والتشهد: أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد وشر

---

(١) جاء وصف صلاة وخطبة النبي للجمعة في أغلب كتب الحديث والفقه في كتاب صلاة الجمعة وأبوابها، كما جاء في أغلب كتب التفسير عند تفسير سورة الجمعة، فيمكن الرجوع إلى ذلك لمزيد تفصيل. أنظر مثلا: جامع الأصول لابن الأثير الجزري، ط١ تحقيق وفهرسة: أيمن شعبان. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٩٨ مجلد ٥ باب ٣. في صلاة الجمعة فصل ٥ في خطبة الجمعة ح ٣٩٦٧ – ٣٩٩٤، والبخاري، ط١، مكتبة الصفا في القاهرة ٢٠٠٣، كتاب الجمعة ح ٨٧٦ – ٩٤١، ومسلم، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، رئاسة البحوث في السعودية ١٩٨٠، كتاب الجمعة ح ٨٤٤ – ٨٨٣، واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لمحمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الفكر بلا تاريخ، ح ٤٨٥ – ٥٠٤ ج١ ص١٦٣-١٦٨، والأم للشافعي مع مختصر المزني ط٢ دار الفكر بيروت ١٩٨٣ ج١ ص٢١٧-٢٤٢، وبدائع الصنائع للكاساني ط٢ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٢ ج١ ص٢٥٦-٢٧٠، والبناية في شرح الهداية للعيني ط١ دار الفكر بيروت ١٩٨٠ م٢ ص٧٨٣-٨٤٨، ومجموع فتاوى ابن تيمية الرئاسة العامة في السعودية ١٤٠٤ هج م٢٤ ص١٦٣-٢١٨، والمحلى لابن حزم تحقيق أحمد شاكر دار التراث في القاهرة ج٥ ص٤٢-٨٠، والفقه على المذاهب الأربعة للجزيري ط٣ دار إحياء التراث في بيروت ج١ ص٣٧٤-٤٠٣ وغيرها.

(٢) الرفاعي. (١٩٧٢). كيف تكون خطيبا. ص ١٥. وأبو عائش. (١٩٩٦). فقه الخطابة. ١٥/١. وفي الحديث الصحيح وأعطيت جوامع الكلم أو وبعثت بجوامع الكلم أو وأعطيت مفاتيح الكلم: جامع الأصول، ح صحيح ٦٣٣٠، والبخاري، كتاب التعبير. ح ٦٩٩٨.

الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة [١]. وكان كثيراً ما يخطب بالقرآن حتى أن أم هشام بنت حارثة أخذت سورة ق والقرآن المجيد عن لسانه صلى الله عليه وسلم وهو يقرؤها يوم الجمعة إذا خطب الناس [٢]. وكان عليه السلام يكثر من ذكر الله تعالى، ويستخدم الكلمات الجوامع، وكان يأمر أصحابه وينهاهم إذا عرض له أمرٌ أو نهيٌ، وكان يعلم الناس قواعد الإسلام وشرائعه، فكانت خطبته عليه السلام بياناً لأصول الإسلام وأركانه وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته وما أعده لأعدائه وأهل معصيته. وكان يختم خطبته بالاستغفار.

كان ذلك جلياً في خطبة الجمعة التي كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يلقيها واقفاً على فقرتين مستقبلاً جموع المصلين، يجلس بينهما جلسة خفيفة، حيث كان صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر أقبل بوجهه على الناس، واستقبله أصحابه بوجوههم، وقال: السلام عليكم، ثم جلس حتى يفرغ بلال من الأذان بين يديه، ثم يقوم فيخطب، ثم يجلس من غير كلام، ثم يقوم فيخطب الخطبة الثانية،ثم ينزل لإمامة المصلين ركعتي الجمعة يقيم الصلاة لها بلال[٣] .وكان النبي يغتسل للجمعة والعيدين ويمس من الطيب ويستاك ويأمر أصحابه بمثل ذلك [٤].

لذلك فقد جعل الفقهاء لخطبة الجمعة جملة عناصر ما بين أركان وشروط وهيئات ومحسنات تحدد كيفية أدائها وعلى الخطيب مراعاتها، وهي في جوهرها مأخوذة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته المطهرة [٥]. من ذلك الافتتاح بالحمد والصلاة على النبي والتوصية بالتقوى وقراءة شيء من القرآن والدعاء للمؤمنين. فبعد الزوال من ظهيرة كل جمعة، يرقى الإمام المنبر فيُسلم على الناس ويجلس، ثم يؤذن المؤذن بين يديه. وبعدها يقف الإمام فيخطب في الناس الخطبة الأولى، فيفتتح بحمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على رسوله الكريم وبالشهادتين. ثم يعظ الناس ويأمرهم بتقوى الله تعالى وحُسن طاعته وامتثال أمره ونهيه. ثم يُعالج شأناً من شؤون المسلمين فيأمرهم فيه بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويعلمهم أحكام الشرع بخصوصه، مستشهداً بما يلزم من الآيات والأحاديث، ومضمناً الأحكام ذات الصلة التي أوردها العلماء، ولكن من غير تفريع ولا إطالة أو دخول في خلاف فقهي لا يصلح للناس، ومن غير دخول في جدل مذموم، متذكراً أن الخطبة للوعظ والإرشاد ولتعليم الناس ما يلزمهم من أساسيات الدين ومبادئه. ثم يجلس جلسة خفيفة. ثم يقف ثانية لاستئناف الحديث وإلقاء الخطبة الثانية التي ينبغي أن تتسم بالإيجاز وقوة التأثير. وهنا يلخص الخطيب ما أراد قوله بكلمات قليلة منتقاة وفي وقت قصير، ومن غير تكرار، خاتماً حديثه بالاستغفار والدعاء للمسلمين. ثم يطلب من المؤذن

---

(١) جامع الأصول، ح صحيح ٣٩٧٤، وصحيح مسلم، كتاب الجمعة، حديث ٨٦٧،

(٢) جامع الأصول، ح صحيح ٣٩٩٣، وصحيح مسلم، كتاب الجمعة، حديث ٨٧٢، ٨٧٣

(٣) جامع الأصول، ح صحيح ٣٩٦٧، والبخاري، كتاب الجمعة، ح ٩١٥ -٩٢٨، ومسلم، كتاب الجمعة، ح ٨٦١ ـ ٨٦٢

(٤) البخاري، كتاب الجمعة، الأحاديث ٨٨٢ – ٨٨٧، ومسلم، كتاب الجمعة، الأحاديث ٨٤٤ - ٨٥٠

(٥) أنظر تفصيل ذلك في سائر الكتب الحديثة المذكورة في جريدة المراجع مثل كتاب الخطابة لمحمد أبي فارس وآخرين، وكتاب فقه الخطابة لأبي عائش، وكتاب فقه الكتاب والسنة لأمير عبد العزيز ج٥، بالإضافة إلى أمات كتب الفقه والحديث المعروفة.

إقامة الصلاة، وينزل لإمامة الناس في ركعتي الجمعة، يجهر بقراءة القرآن فيهما. ثم يصلى كل واحد من الحضور منفرداً ركعتي سنة أو أربعاً، وينقضي كل شيء، وينصرف الجميع إلى مصالحهم وبيوتهم. ويُفضّل أن يبدأ الخطيب خطبته بالمأثور عن النبي عليه السلام، وأن يجعل لكل خطبة مقدمة مناسبة لموضوع الخطبة ولكن من غير تطويل مستعيناً بآية ذات صلة أو بحديث نبوي مناسب للموضوع. وينبغي أن يكون كلام الخطيب واضح المعاني لا تكلف فيه وأن تكون الخطبة كلها قصيرة، فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإقصار الخطبة، وكانت خطبته وصلاته قصدا، أي: معتدلة، فقصر خطبة المرء علامة على فقهه، لأن الفقيه يعرف الكلام الجامع الذي يفي قليله بالغرض الكثير ويغني عن الإطالة في الشرح والتفصيل(١). ويستحب للإمام أن يعتني بهيئته ولباسه ونظافته(٢).

وصلاة الجمعة فرض عين على كل مكلف من غير أصحاب الأعذار بنص سورة الجمعة (٣)، والخطبة شرط لصحتها عند عامة العلماء، ووقتها إذا زالت الشمس من الظهيرة عند جمهور أهل العلم (٤). ويحظر على المصلين الكلام والإمام يخطب (٥).

المبحث الثاني: صفات الخطيب والآداب التي ينبغي أن يتحلّى بها

يعتبر الخطيب أهم أركان الخطبة، إذ عليه يتوقف حجم التأثير والنجاح في تحقيق الأهداف المرجوة. وهو الذي تأكد للباحث من خلال تتبع المصادر الإسلامية والكتب الحديثة خاصة (٦)، ومن خلال تحليل المقابلات التي أجراها مع عدد من ذوي الاختصاص وأساتذة الشريعة. وفي هذا المبحث استعراض لأهم الصفات التي على الخطيب أن يتحلى بها(٧).

وسرد هذه الصفات لا يعني لزوم توفرها جميعها جملة واحدة في الخطيب الواحد شرطاً لقبول خطابه. فهذا من المحال. إنما على الخطيب أن يسعى إلى تحصيل أعلى الدرجات فيها لضمان أكبر حجم من التأثير والنجاح في الوصول إلى أهدافه. وما من إنسان إلا ويتحلى بهذا الجانب أو ذاك من هذه الصفات بالسليقة، ثم يبقى عليه أمران: الأول أن يسعى للتحلي بالجوانب

---

(١) جامع الأصول، حديث صحيح ٣٩٧٦ و٣٩٧٧، وصحيح مسلم، كتاب الجمعة، حديث ٨٦٦، ٨٦٩.
(٢) قال الشافعي في الأم ٢٢٦/١: "وأحب للإمام من حسن الهيئة ما أحب للناس وأكثر".
(٣) جامع الأصول، الباب الثالث في "صلاة الجمعة" الفصل الأول "في وجوبها وأحكامها" ح ٣٩٤٣-٣٩٥٨.
(٤) الأم للشافعي ٢٣٩/١، ونيل الأوطار للشوكاني ٢٧٤/٣، وفقه السنة لسابق ٢٢٥/١، وفقه الكتاب والسنة لأمير عبد العزيز ٢٩٠٠/٥، وجامع الأصول، حديث صحيح ٣٩٥٩، وصحيح مسلم، ك الجمعة، ح ٨٥٨
(٥) في اللؤلؤ والمرجان، ح ٤٩٤ من أحاديث الجمعة: إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت." وفي مسلم، كتاب الجمعة، ح ٨٥٧: "ومن مس الحصى فقد لغا"، وانظر جامع الأصول، ح ٣٩٨٤-٣٩٨٧
(٦) ومنها على سبيل المثال: كتاب الخطابة لأبي زهرة، وكتاب إلى فرسان المنابر لعبد الحميد كشك، وكتاب ثقافة الداعية ليوسف القرضاوي، وكتاب صفات الداعية لسميح عاطف الزين.
(٧) وردت هذه الصفات موزعة في معظم الكتب ذات الصلة، والتي منها: فقه الخطابة لأبي عايش ١٥/١، والخطابة لأبي زهرة ٤٨، والخطابة الإسلامية لعبد العاطي شلبي والمقصود ١٤، وفن الإلقاء لمحمد عدس ١٥، ومملكة البيان لعائض القرني ٧-٢٦

الأخرى التي تنقصه قدر الإمكان، والثاني أن يسعى إلى تنمية الصفات الموجودة عنده أصلاً. وبالتأكيد، فإن من الصعب أن يجمع الخطيب الواحد كل هذه الصفات جملة واحدة وبأعلى صور الكمال. إنما المطلوب هو السعي وبذل الجهد، وبالتدرج، حتى تكون هذه الصفات مكونات طبيعية للخطيب تظهر فيه دون تكلف أو تصنع.

وهذا عرض لأهم هذه الصفات.

١. رجاحة العقل وسداد الرأي والقدرة الذهنية المميزة، حتى يتمكن من البحث والاستنباط وحسن المقارنة. والناس مستويات متفاوتة في قدراتهم العقلية. وقد مني العلم الشرعي منذ زمن بانصراف المتفوقين عن دراسته تاركين المجال لأصحاب القدرات المحدودة، مما أثر سلباً على الاجتهاد بخصوص المستجدات لصالح الانكفاء على القضايا القديمة وآراء السابقين.

٢. طلاقة اللسان وسلامة النطق، فاللسان سلاح الخطيب الرئيس. لذا ينبغي أن تكون أداته هذه كاملة من غير خلل أو نقص أو عيب، كقلب بعض الحروف لعدم القدرة على نطقها، وكالأخطاء النحوية الفاحشة، وكعدم إخراج الحروف من مخارجها الطبيعية الصحيحة. وقد يكون لدى بعضهم عيوب فاحشة لا مجال لعلاجها بالمران، ومثل هؤلاء لا يجوز دفعهم للخطابة.

٣. قوة الملاحظة وحضور البديهة. فالخطيب ليس مذياعاً يلقي خطابه دون التفات إلى ردود الأفعال. وحضور البديهة هي التي تسعفه بحسن التصرف في المواقف الحرجة والطارئة.

٤. قوة العاطفة. فإذا لم يكن الخطيب جياش العاطفة، حي المشاعر، رقيق القلب، مرهف الإحساس، خرجت كلماته ميتة لا حياة فيها ولا روح لها، فلم تتجاوز كلماته الآذان. أما الخطيب المتأثر بما يقول فتلتهب كلماته لأنها قبس من نفسه المشتعلة، وسرعان ما تتجاوب معه النفوس والأرواح، فلا يكاد يلفظ الكلمة حتى تعيها القلوب. ولكن ينبغي أن تكون هذه العاطفة موزونة بالعقل الرشيد، وخاضعة لأحكام الشرع. فالخطيب الناجح هو الذي يلهب نظرات العقول الباردة بلهب العواطف المتوقدة، ويلجم العواطف المندفعة بنظرات العقول المتزنة. فلا إفراط ولا تفريط.

٥. قوة الشخصية والوقار والجرأة والشجاعة والاستغناء عن الآخرين. ذلك أن قوة الشخصية تكسب الخطيب الهيبة والاحترام في نفوس الناس، مما يحملهم على توقيره، فلا يجترئ عليه سفيه ولا أحمق. وهذه الصفة تكسب كلماته قوة ونفاذاً وتأثيراً في الجماهير. لذا عليه أن يكون جاداً بعيداً عن الهزل. فالخطيب إذا كان عابثاً ثرثاراً هازلاً، فإنه يسقط من عيون الناس وتزول هيبته. ومن ذلك الجرأة والشجاعة في تناوله للقضايا العامة، حتى يتمكن من قول ما يريد بلا خوف من سلطان بل ودون حاجة إلى إحسانهم وعطاياهم. لكنه يفعل كل ذلك بأدب المؤمن وخلق الداعية، فهو جريء في غير تهور شجاع في غير حمق. وعليه قول الحق وتحمل ثمن ذلك. فالله تعالى يقول: ".. وأمر بالمعروف، وانهَ عن المنكر،

واصبر على ما أصابك"[١] .وعليه التحلي بالاستقلال وعدم الحاجة لأحد، وأن لا يستغل مكانته للتكسب. فالتعفف عما في أيدي الناس يجعله مالكاً لنفسه محبوباً للناس. ومن زهد بما في أيدي الناس أحبوه. والجرأة لا تستلزم التصريح بكل أمر، فليس كل ما يعلم يقال. بل إن التصريح ببعض الأمور ينافي الحكمة أحياناً. فالتصريح قد يقود إلى إثارة المشكلات التي لا تليق بمكانة المسجد وقدسية المنبر، فضلاً عما قد يترتب على ذلك من ضرر على الخطيب في خاصة نفسه.

٦. القدوة الحسنة والتزام الأخلاق الحميدة التي يدعو الناس للالتزام بها. فالناس يتأثرون بالأفعال أكثر من الأقوال. فإذا وجدوا فيه الغيرة على الدين تأثروا به، وإذا وجدوا منه التفريط كانوا مثله مفرطين. لذا عليه بالصدق في القول والعمل، وأن يلتزم الشريعة في سلوكه. وهذا بحاجة إلى عزيمة لا يقدر عليها الكذابون أصحاب المصالح والأهواء. وينبغي أن يكون ناصعاً في تاريخه. فالخطيب المؤثر هو الذي لم يتلوّث بارتكاب كبيرة، ولم يقترف فاحشة، ولم تثبت عليه خيانة. كما يجب عليه إصلاح أسرته وإلا كان محلا للسخرية والتندر.

٧. الرحمة والشفقة على الناس وإرادة الخير لهم، والتواضع معهم حتى يألف ويؤلف، فلا يكون جافياً قاسياً. فالناس لا يسمعون لمن يتطاول عليهم ويرى نفسه فوقهم. ثم عليه أن يمتدح السامعين بصفاتهم الحسنة، وأن ينطلق من ذلك لطلب المزيد من الخير والالتزام، بدل دوام تقريعهم، وعليه أن يجتهد لتقويمهم بالحكمة. ومن العجب ما يقوم به بعض الخطباء من دوام الصراخ على الحاضرين بالتقريع والاتهام، وهو ما يبلغ ببعض الأئمة حد تفسيق الناس واتهامهم بالنفاق وقلة الدين. ثم من ذا الذي نصبّه على الخلق، وأعطاه حق شتمهم واتهامهم، سواءً بما كان فيهم أو لم يكن فيهم؟ والله تعالى يقول لنبيه الكريم: "لست عليهم بمسيطر"، ويأمره أن يرفق بهم، وأن يعفو عنهم، وأن يتجاوز عنهم، ولو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله. فما أروع دين الله تعالى! وما أعجزنا عن التأسي بتعاليمه السمحة!

وعلى الخطيب تجنب تجريح الجماعات والأشخاص. وعليه ألا يحقر غيره من العلماء والخطباء. وعليه ألا يتكلم مع المصلين من برج عاجي وكأنه ليس واحداً منهم كأن يقول: أنتم تفعلون.. وتقولون.. بل عليه استخدام كلمة "نحن". وخير قدوة له في ذلك رسول الله، الذي كان يقول: "ما بال أقوام يقولون كذا وكذا". وردا على أصحاب حديث الإفك الذين اتهموا زوجته العفيفة في شرفها لم يشتم أحداً، إنما قال: "ما بال أقوام يؤذونني في أهلي". كما على الخطيب أيضاً تجنب مدح المسئولين وتسويغ تصرفاتهم الخاطئة. وعلى الخطيب أن يكون وثيق الصلة بجمهور المسجد الذي يخطب فيه، ذلك أن الناس إذا شعروا بقرب الخطيب منهم، وأنه يشاركهم أفراحهم وأتراحهم، ويعيش مشكلاتهم ، فإنهم يحبونه ويثقون به. على أن يكون ذلك لأغراض الإصلاح العامة، وليس لتحقيق مصالح خاصة به.

---

(١) سورة لقمان، الآية ١٧.

٨. الاهتمام بمظهره الخارجي وبنظافته وهيئته دون مبالغة. فإن تأثير المظهر على العيون لا يقل عن تأثير الصوت على الآذان. فينبغي أن يكون الخطيب نظيفاً في جسمه قد جاء مغتسلاً متطيباً، وأن يكون ثوبه مرتبا مناسبا لعمره ومهنته خالياً من الأوساخ والعيوب؛ فالله جميل يحب الجمال. ثم إن من هدْي النبي صلى الله عليه وسلم لبس أجمل ثيابه للجمعة والعيدين. فعن عبد الله بن عمر، أن عمر بن الخطاب قال: "يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك (١). وينبغي الإشارة هنا إلى أن الملابس لا تترك أثرها على الجمهور فحسب، إنما وعلى لابسها فتعطيه الراحة النفسية وعدم الاضطراب وترفع من قدر نفسه في عينه، وهو ما يمنحه الثقة بنفسه ويسهم في إنجاح خطابه (٢).

٩. العلم وسعة الاطلاع. وأول ذلك العلم الشرعي، وهو أمر لازم، وإلا خشي منه الخطأ في دين الله تعالى. ومن العلم الضروري حفظ ما أمكن من القرآن الكريم وفهم معانيه ومقاصده، والعلم بالسنة مع البعد عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة. وكذا الإحاطة بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والإلمام بالأحكام الشرعية للقضايا الأساسية وبضمنها أحكام الصلاة تفصيليا. كما عليه أن يتمتع بالقدرة على التلاوة الصحيحة لكتاب الله، ومعرفة الإسرائيليات في التفسير للحذر منها. ومعرفة العقيدة والفرق وعلم الرقائق والأخلاق المستقاة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم.

كما ينبغي أن يكون لدى الخطيب اطلاع على عدد من العلوم الأخرى كالتاريخ واللغة والأدب والاجتماع بالإضافة إلى الثقافات المعاصرة. وينبغي أن يكون متابعاً لأحوال الأمة. وعليه معرفة واقع القوى العالمية والمذاهب السياسية والحركات والأحزاب المعاصرة، وهو ما يسمى بثقافة الواقع. ومما جد في عصرنا علم الحاسوب والإنترنت الذي يشكل نافذة على العالم أجمع، وأغلب خطباء اليوم لا يستخدمونه لعدم إجادتهم لذلك. يضاف إلى ذلك متابعة الإعلام لمعرفة ما يدور من أمور، ولمتابعة البرامج المتعددة، على ألا يحصر نفسه في البرامج الدينية. وعليه ممارسة عادة القراءة في مختلف المجالات النافعة ما أمكن. وينبغي على الخطيب أن يتذكر أنه من خلال خطاباته إنما يعرض عقله وفكره على الناس، وبالتالي، فإنه بحاجة إلى تطوير أدائه وتعميق معرفته وتوسيع مداركه باستمرار.

١٠. وفي النهاية يمكن للخطيب أن يتصف بمعظم هذه المواصفات، ثم لا يكون ناجحاً، وذلك لأنه غير مخلص في عمله لله تعالى. حيث إن من أهم الصفات التي على الخطيب أن يتصف بها هي إخلاص العمل لله تعالى. فعليه أن يجعل الإخلاص حليته وحب الخير وجهته، وأن يصدر كلامه من قلبه وإن نطق به لسانه.

---

(١) البخاري. كتاب الجمعة، باب يلبس أحسن ما يجد، ح ٨٨٦.
(٢) كارنيجي،دايل. (١٩٩٩). فن الخطابة. ص٧٧.

المبحث الثالث: صفات الخطبة الناجحة في الشكل والمضمون

يعود نجاح الخطاب إلى المعاني التي يتضمنها، بالإضافة إلى طريقة تقديم تلك المعاني. ذلك أن النجاح إنما يعود إلى الشكل والجوهر معاً، بل والى شخص الخطيب معهما، بالإضافة إلى عناصر أخرى يعود بَعضُها إلى المستمعين والى درجة استعدادهم للتلقي.

وفي هذا المبحث يجري عرض ومناقشة صفات الخطبة الناجحة في جانبي الشكل والمضمون. أي من حيث المحتوى وطريقة الأداء أو فن الإلقاء.

وبخصوص عنصر الشكل والأداء والمواصفات الواجب توفرها في طريقة إلقاء الخطاب، تجدر الإشارة إلى أن هذا الفن هو من جنس المشترك الإنساني بين البشر. فالفوارق من شعب لآخر في هذا المجال هي غير ذات اعتبار، مما يتيح المجال للإفادة من تجارب الآخرين والاعتماد على ما توصلت إليه البشرية بقطع النظر عن الفروق بين الأمم. لذا، وعلى سبيل المثال، يمكن الإفادة من كتاب "فن الخطابة" للمؤلف دايل كارنيجي إلى جانب كتاب "الخطابة" للإمام أبي زهرة. كما أن البحث هنا قد اكتفى بالأسس العامة لفن الإلقاء دون الولوج إلى التفريعات، مع الإحالة إلى المراجع الخاصة التي تناولت هذا الفن بالتفصيل.

ورغبة في الإيجاز والوضوح، فقد كان من المفيد عرض المواصفات الرئيسة المتعلقة بفن الخطابة من حيث الجوهر والشكل وطريقة الأداء من خلال النقاط الموجزة الآتية.

المطلب الأول: تعلم الخطابة والتدرب عليها شرط لنجاح الخطيب، فالخطابة فن تطبيقيّ يأتي بالمران ولا تكفي له الموهبة وحدها.

الخطابة، بالإضافة إلى كونها ملكة ذاتية لدى الشخص، تبقى فنا له أصوله وقوانينه وقواعده، وهي علم تطبيقي يبحث في طرق التأثير والإقناع ولا تظهر ثمرته إلا بالتدريب، كالسباحة التي لا يتقنها المرء بمجرد دراسة أصولها إنما بممارستها والمران عليها. وهو ما يحتم على الخطيب دراسة فن الخطابة والتدرب عليها كشرط أساسي لنجاحه في مهمته ومهنته.[١] فقد ولّى الزمن الذي يحق فيه للخطيب ارتجال الخطابة دون دراسة وتدريب، ودون اطلاع على العلوم المتعلقة بهذا الفن بالحد الذي يضمن نجاحه. وهنا قد يقع اللوم على بعض كليات الشريعة التي تسمح بتخرج الطلبة من غير تدريب. وليس المطلوب هنا بدعاً من القول. فقد اهتم الإنسان عبر تاريخه بالخطابة كعلم وفن، بدل الاكتفاء بها كسليقة طبيعية. كما لوحظ توجّه صناع القرار إلى هذا العلم في كل عصر لامتلاك التأثير في الناس. كما وجدت الخطابة أوجها في صدر الإسلام. والمراقب للتاريخ الحديث يدرك أن عدداً من أبرز السياسيين، إنما كانوا خطباء مفوّهين، وعلى دراية كبيرة بما يثير الجماهير. ونحن لو طالعنا القرآن الكريم، ورحلنا فيه مع رسل الله تعالى، فإننا سنجد الفصاحة والبلاغة تنضح من خلال حديثهم لأقوامهم. فكيف يجوز للخطيب المسلم بعد كل ذلك أن يضرب صفحاً عن هذا العلم؟

(١) أبو عايش، (١٩٩٩). فقه الخطابة. ٢٤/١، والقرني. (٢٠٠١). مملكة البيان. ص٩، ٢٤.

كما لا بد من دراسة كلام البلغاء للتعرف على أسرار البلاغة ومناحي التأثير، والاطلاع على الخطب الشهيرة للإفادة منها، ولكن مع الحذر من تقليد هؤلاء الخطباء في كل شيء، فلكل شخص خصوصيته. كما لا بدّ من امتلاك الثروة الكبيرة من الألفاظ والأساليب والأمثال والأشعار الهادفة التي تخدم أغراض خطاباته. ولا شك في أن القرآن الكريم ومعه الحديث النبوي الشريف يبقيان المعين الأوفى لذلك، بالإضافة إلى المطالعات العلمية والثقافية الأخرى. بل ولقد كان من هدْي الرسول صلى الله عليه وسلم تدريب أصحابه على الخطابة [١]. والضمانة الوحيدة للنجاح في الخطابة تكمن في خوض التجربة للتدريب العملي على الخطابة، "فالطريقة الوحيدة لتعلم السباحة هي في النزول إلى الماء"[٢]. ولا شيء يزيل مخاوف الشخص من مواجهة الجمهور مثل الثقة بالنفس التي تبنى بأشياء منها التدريب والتحضير المسبق ومعرفة ما تريد وتوفر الرغبة الحقيقية. والأمة اليوم تحتاج إلى دور ومعاهد لتعليم الخطباء وتخريج الفصحاء، وأن تكون هناك دورات للخطباء لتدارس أوضاعهم وتلافي أخطائهم وتحسين أحوالهم[٣].

المطلب الثاني: المنبر للوعظ والإرشاد، وليس للمساجلات الخلافية التي تثير الخصومة وتفرق المسلمين، ذلك أن وحدة المسلمين غرض رئيسي للخطيب

لا شك أن الوعظ هو الغرض الأساس الذي شرعت لأجله خطبة الجمعة. بل الوعظ هو القطب الأعظم في الدين، والمهمة التي بعث الله بها النبيين، والوعظ وظيفة العلماء ورثة الأنبياء. ولو طوي بساط الوعظ وأهمل لاضمحلت الديانة، وفشت الضلالة، واستشرى الفساد، وخربت البلاد. قال تعالى: "**والعصر إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوْا بالحق، وتواصوْا بالصبر**"[٤]. وقال تعالى: "**ولْتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهوْن عن المنكر، وأولئك هم المفلحون**"[٥]. وقال تعالى: "**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف، وتنهوْن عن المنكر، وتؤمنون بالله**"[٦].

لذلك كان الوعظ والإرشاد من أخصّ وظائف الخطيب بغية حض الناس على التزام تعاليم الدين وتمثل مكارم الأخلاق وبغية تعليمهم أركان الإيمان وكليات الدين وما ينبغي فعله أو تركه، ولكن من غير دخول في قضايا جدلية خلافية. فالخطبة ليست للمساجلات العلمية، ولا هي للخلافات المذهبية، ولا ينبغي أن تكون حتى للمنافسات السياسية. والخطبة منبر لتبليغ كلمة الله الجامعة لكل المؤمنين. ولما كان المسجد يجمع المصلين في صعيد واحد على اختلافهم في العديد من المسائل والمواقف والتفريعات، فإن الخطيب العاقل هو الذي يملك جمع الناس وتوحيدهم من

(١) أبو عائش. (١٩٩٦). فقه الخطابة. ٢٤/١، ناقلاً حديث أبي الدرداء الذي يذكر اختبار الرسول لخطاب عدد من أصحابه.
(٢) كارنيجي، دايل. (١٩٩٩). فن الخطابة. ص١٧.
(٣) القرني. (٢٠٠١). مملكة البيان. ص٢٦.
(٤) سورة العصر.
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.
(٦) سورة آل عمران، الآية ١٠٠.

خلال تركيزه على أساسيات الدين والوعظ بها، مع الابتعاد عما يثير الخصومة بين المصلين. فلا يجوز مناقشة القضايا الخلافية الجدلية والمسائل الدقيقة في حضرة العامة الذين لا ينفع زجّهم في هذه القضايا. بل ربما أسهم طرحها عليهم في زيادة الفجوة والشقاق وفي إثارة البلبلة في المسجد. فالخطيب مطالب بمخاطبة الناس على قدر عقولهم وبما يلزمهم وينفعهم، ومن وضع الحكمة في غير أهلها وفي غير محلها فقد ظلمها، ومن منعها أهلها في محلها المناسب فقد ظلمهم، وعلى الخطيب أن يقدر لكل مقام مقالا يناسبه. فما يصلح لحلقات العلم والبحث مع المختصين لا يصلح للعامة القادمين من مشارب شتى ولا دراية أو شأن لهم بما يقول(١). ومثل ذلك يمكن قوله فيما يتعلق بالقضايا الحزبية والسياسية الخلافية التي تثير الخصومة بين العامة وتفرق ولا تجمع. أما القضايا السياسية الكلية المتعلقة بالهمّ العام وبمجمل قضايا الأمة، فلا ضيْر في التطرق إليها. وتبقى الحكمة، ومعها الظروف، هي التي تقرّر الحد الفاصل بين ما يمكن وما لا يمكن طرحه على المنبر. وعلى الخطيب، ومهما امتلك من زمام الكلمة، أن لا يسمح لنفسه باستخدام المنبر لشق صف المصلين ولكيل الاتهامات والألفاظ النابية ضد أي فريق أو مجموعة تخالفه الرأي. فهذا بيت الله تعالى، وينبغي تجنيبُه كل مظاهر العداوة والفئوية؛ للمحافظة عليه بيتاً للطمأنينة والعبادة والسلام.

وإذا كان على الخطيب التحلي بالشجاعة المعنوية، ليصدح بالحق الذي يراه، فليس معنى ذلك أن يعلن الحرب على الخلق وأن يستخدم المنبر للتشهير بهم أو لكيل الاتهامات لهم، وحتى لو كان محقاً في بعض دعواه. فإن الحكمة والموعظة الحسنة تبقى طريق الدعاية الإسلامية الأولى والدائمة. قال تعالى: "ادْعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة"(٢). فليأخذ المصلين بالرفق، فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، وإن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف. وعليه التحلي بالحلم، وسعة الصدر، والتواضع، والصبر على الأذى. فإن التجمعات التي استشرى فيها الفساد هي كالمريض، والواعظ لها كالطبيب. وإذا كانت القلوب معرضة، والنفوس جامحة، والأهواء متحكمة، فليعلم أن مهمته شاقة، وأن عليه بذل مجهود عظيم لمداواتهم بهدوء وسعة صدر وصبر، ولين جانب، وخفض جناح. وليعلم أنه ما جاء ليخاصم المرضى، ولكن ليداويَ فسادهم. وعليه الاقتداء بخلق الرسول الكريم في كل ذلك، فقد كان على خلق عظيم، ولو كان فظا غليظا لانفض أصحابه من حوله.

وخطب الوعظ تأتي على أبواب ومجالات واسعة بسعة الإسلام وبتعدد مجالات الحياة. فليس الوعظ محصورا في الترغيب والترهيب أو الجنة والنار. والاهتمام بالوعظ، لا يعني ترك الحديث في الأحكام الشرعية. إنما المقصود هنا ترك الجدل في التفريعات الخلافية وفي المسائل النظرية الشائكة، لأن المقام لا يتسع لذلك ولا يناسبه ذلك. فما يصلح من حوارات ومناظرات بين العلماء، لا يصلح بحثه بين العامة الذين لا يحيطون بأصول الاستنباط والاجتهاد. إنما الذي يريده المواطن العادي أن يعرف الحكم الذي يتوصل إليه العلماء وكفى. فليذكر لهم ما نصّت عليه

---

(١) محفوظ. هداية المرشدين. ص١٢٢.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.

الآيات والأحاديث صراحة، ولينقل لهم ما اتفقت عليه كلمة العلماء من أحكام، وليضربْ صفحاً عن القضايا الخلافية الجدلية، التي لا يقدرون على فهمها.

المطلب الثالث: حسن اختيار الخطبة والتنويع في مواضيع الخطب لتشمل كل جوانب الدين والحياة

لا شك أن اختيار موضوع الخطبة يعتبر الخطوة الأولى والاختبار الأول للخطيب. وينبغي أن ينشرح صدر الخطيب للموضوع حتى يجد من نفسه اندفاعا نحوه وحماسة فيه، حتى يضمن القدرة على التأثير في الآخرين، فإنه لا يؤثر إلا المتأثر. كما ينبغي أن يكون الموضوع في مجال علم الخطيب حتى لا يخطئ في دين الله. ثم يراعي الخطيب أن يكون الموضوع ذا تعلق وارتباط بواقع الناس وحاجاتهم وقضاياهم الملحة لمعالجتها والإجابة على تساؤلاتهم بخصوصها، وتلك أفضل الخطب، وربما صلى للحاجة لاختيار الخطبة، وربما استشار غيره [(١)].

ثم إنه، ولما كان الإسلام يمتاز بشمول أحكامه لكل جوانب الحياة، فقد بات الخطيب مطالبا بإرشاد الناس ووعظهم في كل أمورهم، وكان له من النفع بمقدار ما يستطيع أن يقدمه من نصح لبناء الحياة العامة عند المسلمين، سواء في الأمور الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو الصحية، أو التعليمية، فضلاً عن الجوانب الوطنية والسياسية، وفي شؤون العمل وبناء الذات، بالإضافة إلى أركان الدين والإيمان والإسلام. كما يمكن للخطبة أن تكون في فضائل الإسلام، وفي الإصلاح ومحاربة المنكرات الشائعة، وفي الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، وفي تثبيت الإيمان وتقويته. بل إن كل مسألة لها صلة بالشأن العام أو الخاص، تصلح أن تكون موضوعاً للخطابة، ذلك أن الإسلام نظام شامل، يعالج كل جوانب الحياة. والخطابة في الإسلام على أقسام، منها: خطب الدعوة إلى الإسلام، وخطب الدفاع عنه، وخطب التعليم الديني، وخطب تثبيت الإيمان بذكر فضائل الإسلام ومزاياه، وخطب الوعظ والإصلاح ومحاربة المنكرات [(٢)]. ولا ينبغي للخطيب أن يحصر نفسه في جانب من جوانب الدين دون سواه، لأنه بذلك يعطل شمول الإسلام ويسيء لنفسه وللسامعين على حد سواء.

ومن أجل أن يصل الخطيب إلى غايته لا بدّ أن يجعل الخطبة الواحدة متصدية لعيب واحد لا تعدوه؛ لأنه لو تعرض لعدة عيوب لضعف التأثير، وما استطاع أن يصل إلى هدفه، ولما استطاع أن يفصل في الأمر، ولا أن يقترح الحلول والمعالجات العملية لذلك العيب المحدد. ثم ليكرس الخطيب وقته لأكثر المعاصي خطراً، وأشدها في بناء الدين والمجتمع هدماً، بدل أن ينشغل في الحديث عن صغائر الأمور. فإذا أعطى هذه القضايا الكبيرة حقها من الوقت والجهد والاهتمام، انتقل إلى غيرها وفق ما يسمح به وقته وجهده.

---

(١) أبو عايش. (١٩٩٦). فقه الخطابة. ٢٦/١.

(٢) شلبي ومقصود. (٢٠٠٦). الخطابة الإسلامية. ٢٦.

المطلب الرابع: إقناع السامعين والتأثير فيهم بالحجة والعاطفة معاً

لا بدّ لمن يريد الخطابة من استخدام الوسائل التي من شأنها إقناع السامع وإثارة حماسته والتأثير فيه على حد سواء (١). فعمل الخطيب تقديم الحقائق وإثباتها بأسلوب يجذب الناس إليه، و يحملهم على التسليم بقوله، مسخراً لذلك كل الأدلة والوسائل اللازمة. وكل موضوع له أدلته وحججه الخاصة به. وعلى الخطيب استقصاء أبلغ تلك الحجج وتقديمها للسامعين لإقناعهم بفكرته. أما المؤثرات والوسائل فعديدة ومتنوعة. من أبرزها وازع الدين الذي هو من أكثر الأمور سيطرة على القلوب، فالناس لا يخضعون لشيء كما يخضعون لحكم الدين. وأبلغ ذلك أن يستعين الخطيب بقول الله تعالى وقول رسوله الكريم. يأتي بعد ذلك سلطان العادات التي على الخطيب أخذها بعين الاعتبار. ولا عجب إن كان الأحنف بن قيس، وهو من أشهر البلغاء، قد قال: لو أن الناس كرهت الماء لما شربته. وليس عجيباً كذلك أن يقبل الفقهاء الاحتكام إلى العرف في كثير من القضايا إلى حد قولهم: إن المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً.[٢] لكن هذا لا يعني الخضوع للعادات جملة واحدة. فمنها ما لا يتفق مع شرع الله تعالى. بل إن الرسل ما جاؤوا إلا لتقويم عادات أقوامهم المنحرفة. لذا يكون المطلوب هنا اتباع الحكمة في معالجة تلك العادات الخاطئة، والتدرج في تغييرها. ثم تأتي آثار السلف. فللسلف سلطان كبير في نفوس الأحياء. لذا يحسن أن يربط الخطيب بين فكرته وبين ما أُثر عن السلف من القدوات الصالحة كالصحابة، والتابعين، وعلماء الأمة، وقادتها. ويلحق بهذا أن يُحلّي الخطيب خطبته بكلام الحكماء المشهورين والشعراء المجودين. ولكن مع تجنّب الإكثار من الشعر وتجنب ما كان منه ركيكاً. ولا شك أن قوة اللغة وجزالتها تلقي ظلالا كبيرة من التأثير في نفوس السامعين خلافا للكلام الركيك واللغة الرديئة التي تصرف الناس عن متابعة الخطيب.

ومن الجدير بالملاحظة هنا، أن الخطيب لا يسعى إلى إقناع السامعين فحسب، بل إلى حملهم على التسليم والتفاعل مع الموضوع إلى درجة تبني ما هو معروض. ولا يكون هذا بالدلائل المنطقية الجافة وحدها، إنما يحتاج إلى إثارة العاطفة ومخاطبة الوجدان لإيجاد الحيوية والدافعية. والناس، تحركهم العاطفة أحياناً، أكثر مما تحركهم البراهين. والخير كل الخير في الجمع بين الحجة والعاطفة.

وطرق التأثير متعددة، منها: اعتقاد الخطيب بصحة ما يدعو إليه، فإنه لا يؤثر إلاّ المتأثر. وقد تكلم رجل عند الحسن البصري بمواعظ لم يرقّ لها قلبه، فقال له الحسن: "إما أن يكون بنا شر أو بك شر". ومن ذلك أيضاً استخدام بواعث الانتباه لضمان انجذاب السامعين، كالجدة ودوام التغيير بدل اتباع نسق واحد في موضوعاته وأساليبه حتى لا يقع السامعون في الفتور.

---

(١) للمزيد: أبو زهرة. (١٩٦٤). الخطابة. ٢٨-٤٨، ٦٥-٩٤. وابو العدوس. (٢٠٠٧). المهارات اللغوية وفن الإلقاء. ١٤٢.

(٢) لمزيد تفصيل حول الموقف الشرعي من العرف والعادة وتطبيقات ذلك، يمكن الاطلاع على كتاب القواعد الفقهية للندوي، وعلى سائر أمات كتب الأصول والقواعد والفروق والنظريات وكتب المدخل إلى الشريعة عامة والفقه وأصوله خاصة.

وينبغي التذكير أن الخطابة سلاح ذو حدين. فهي قد تقطع الخصومات، وتفضُّ المشكلات، وتظهر الحق، وتنتصر للمظلومين. لكنها قد تشعل الثورات بل والفتن أحيانا. وغالباً ما يكون قادة الجيوش خطباء مفوهين، حملوا الكلمة سلاحاً معنويا إلى جانب الحديد والبارود. والخطباء هم المسيطرون على الجماعات والمحركون لها، وفي البرلمانات يكون لهم جولات وصولات. وقد تكون الخطابة طريقاً للمجد الشخصي، بدل كونها طريقاً للنفع العام. ولعل هذا ما يدعو إلى الحذر الشديد من خطورة استغلال الخطابات استغلالاً سلبياً وخادعاً ومدمراً لتحريض الناس وحملهم على ما ليس بحق. وهو ما يستلزم ضرورة غرس الإيمان، والرقابة الذاتية، وخشية الله تعالى في نفس الخطيب، إلى جانب كل حرف يتعلمه من حروف هذا الفن. فالمنابر لها بريق يفوق لمعان الذهب لدى بعض الناس. وقد يدفعهم إلى قول ما لا يرضي الله تعالى، وما لا يتفق مع الحق، لقاءَ مصلحة خاصة، أو مجد شخصي، أو حظوة لدى أصحاب السلطان والنفع الغرور.

المطلب الخامس: التحضير المسبق للخطبة

من خطباء الجمعة من يلقي خطبته بعد تحضير وإعداد مسبق، ومنهم من يرتجل خطابه من غير تحضير مناسب. وما دام لدى الخطيب فسحة من الوقت للتحضير عبر الأسبوع، فلا عذر له كي يرتجل خطابه من غير تحضير. ولا يتوهم متوهم أن تحضير الخطبة مما يعيب. إنما العيب أن يقول الخطيب كلاماً لا قيمة له. ولتكن له أسوة حسنة في كبار الخطباء الذين لا يرتقون المنبر غالبا إلا بعد تحضير رغم قدرتهم على الارتجال، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما ذهب إلى سقيفة بني ساعدة لحسم الأمر بشأن خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم(١). فالتحضير المسبق للخطبة يعني أن يكون لدى الخطيب شيء محدد ليقوله للناس، "وهذا نصف سر فن الخطابة"(٢)، فضلا عن أن التحضير يطرد الخوف والتوتر العصبي، ويجعل الكلمات تنساح بطلاقة على لسان الخطيب ما دامت الأفكار جاهزة في ذهنه وهو يعرف ما يريد وما يود قوله لجمهوره. بل إن الخطيب الناجح هو الذي يأتي للخطبة متسلحا بمعلومات إضافية وبمواد احتياطية تسنده وتوفر له الثقة بنفسه وتحميه من الخوف والاضطراب. وهنالك من يقول: "لا تبحث عن الكلمات بل عن الفكرة، وحين تجدها ستجد أن الكلمات تتدفق من دون أن تسعى إليها"(٣).

من الخطباء من يكتفي في تحضيره بدراسة الموضوع وجمع عناصره في خاطره دون كتابة شيء، وهذه الطريقة يتبعها بعض المتمرسين، وقد تكتنفها، إلى جانب مزاياها، عدد من المثالب كالخروج عن جوهر الموضوع أو نسيان بعض أجزائه المهمة. ومن الخطباء من يضيف إلى ذلك كتابة عناصر الخطبة وأجزاءَها وبعض الآيات والأحاديث اللازمة في مذكرة يصطحبها معه عند الخطبة لتكون مرجعاً له وضابطاً، وليحفظ الأفكار من الضياع. وفي الأخذ بهذه الطريقة مزايا كثيرة، لما فيها من ضبط للأفكار، وهي كسابقتها لا يتجه إليها إلا المتمرسون

(١) أبو عايش. (١٩٩٦). فقه الخطابة. ٢٨/١، حيث نسب إليه أنه هيأ خطابا وحسنه ليقدمه بين يدي الصديق.
(٢) كارنيجي، دايل. (١٩٩٩). فن الخطابة. ص١٩. وشلبي ومقصود. (٢٠٠٦). الخطابة الإسلامية. ص ٢٣.
(٣) كارنيجي، دايل. (١٩٩٩). فن الخطابة. ص٤٠.

القادرون على ارتجال الخطبة بدل القراءة الحرفية لمادة مكتوبة. ومن الخطباء من يدرس الموضوع ويكتبه بعناية، ثم يتكلم فيه بينه وبين نفسه في مكان قد انفرد فيه، وهذه الطريقة يعمد إليها الخطيب المبتدئ، يدرب نفسه حتى تصير لديه الملكة. وقد يقرأ ما كتب مراراً حتى تعلق المعاني والمفردات مرتبة بذاكرته، حتى لا يتلعثم وهو يقرأ من الورقة على المنبر. ومن الخطباء من يكتب الخطبة، ثم يلقيها بقراءتها حرفيا من الورقة التي كتبها فيها، على أن يكون في قراءته مشرفاً على السامعين بنظره من وقت لآخر، وهي للمبتدئين، ولا ينبغي للخطيب الاستمرار عليها.

وتحضير الخطبة أول ما ينبغي له حسن اختيار الموضوع المناسب، ثم دراسة الموضوع من كل جوانبه مع حشد الآيات والأحاديث وأقوال العلماء والفقهاء فيه، ثم تنسيقه وعمل التسلسل المنطقي لأفكاره من المقدمة إلى الخاتمة في إطار سليم وصياغات لغوية مناسبة.

وينبغي على الخطيب أن يكون تفكيره في الخطبة الثانية كتفكيره في الخطبة الأولى تماماً. ومن التقصير والعيب الفاضح أن يلتزم الخطيب في الخطبة الثانية كلاماً يكرره كل أسبوع. "وإني أنصح إخواني خطباء المساجد أن يتركوا هذه العادة التي تدل على الإهمال والكسل، وأن يحضّروا الخطبة الثانية كما فعلوا في الأولى"(١).

المطلب السادس: تنسيق الخطبة وتنظيم أجزائها

لا بدّ من تنظيم أجزاء الخطبة وإحكام تركيبها بشكل يفي بالغرض، من المقدمة إلى الخاتمة. والمقدمة تكون في صدر الخطبة لإعطاء السامعين صورة إجمالية عما يُراد الحديث عنه (٢). وللخطباء مذاهب شتى في افتتاح الخطبة بعد مقدمة الحمد وبعض الآيات والأحاديث التي تناسب الموضوع. وأمر الافتتاح يجب أن يكون قصيراً موجزاً. وقد يذكر الإمام عنوان خطبته في البداية من غير تفصيل، فيقول: موضوع خطبتنا اليوم في الوفاء بالعقود. وقد يلزم إهمال ذلك أحياناً إذا أراد الخطيب استدراج السامعين إلى ما يريد. ولا بد من البحث عن مفاتيح جيدة ومتجددة للخطبة. فمفتاح خطبة في الأمن، ليس كمفتاح خطبة في بر الوالدين. وهنالك الكثير من الكتب التي تتضمن خُطباً بمقدمات مناسبة، مما يمكن الغزل على منواله (٣). وينبغي أن تتصف المقدمة بسهولة اللفظ ووضوح المعنى، وأن يكون الافتتاح مرتبطا مع الخطبة ببراعة الاستهلال فذلك من أخص أسباب نجاح الخطبة، وينبغي أن تكون قصيرة فكلما كانت موجزة كان ذلك أفضل (٤). والخطباء المبدعون هم الذين يفتتحون الخطبة بمقدمة مثيرة، بل إنهم يخططون لذلك مسبقا لضمان شد انتباه السامعين لخطابهم. ولكن يجب أن تكون المقدمة موجزة وسريعة كسرعة الحياة المعاصرة. والمقدمة لا ينبغي أن تبدأ بنكتة أو بصيغة اعتذار، ولكن لا مانع من محاولة جذب انتباه المستمعين من خلال طرح استفسار أو موضوع يثير فضولهم أو قصة لها دلالاتها.

---

(١) الرفاعي،علي. (١٩٧٢). كيف تكون خطيباً.
(٢) للاستزادة: أبو زهرة. (١٩٦٤). الخطابة. ٩٦، وشلبي ومقصود. (٢٠٠٦). الخطابة الإسلامية. ص ١٨.
(٣) من ذلك: الرفاعي، علي. كيف تكون خطيباً. (١٩٧٢).
(٤) درويش، محمد. (١٩٦٨). الخطابة في صدر الإسلام. ٢٢/١

ثمّ على الخطيب تقسيم خطبته تقسيماً جامعاً لأطرافها، بأسلوب متتابع، يقود كل جزء المستمعين إلى الجزء الذي يليه، فيتسم العرض بالوحدة الموضوعية والتسلسل المنطقي(١). كما أن على الخطيب توزيع الوقت على أجزاء الخطبة حسب الحاجة اللازمة لكل قسم. وكثيراً ما يقع الخطيب ضحية لسوء تحكمه بالوقت، فتراه يسترسل في الجزء الأول من الخطبة، مما يضطره إما لإطالة الخطبة بشكل مذموم، وإما إلى الإيجاز المخلّ لما بقي من أجزاء، متجاوزاً عدداً من النقاط المهمة.

ولا بدّ من تأييد القضية بالدليل. وأوْلى الأدلة بالاعتبار ما كان آية كريمة، أو حديثاً شريفاً. ومن العجيب أن ترى من الخطباء من يقضي وقت الخطبة كله يرتب العبارات وينمّقها، ويسوق الأشعار والأقوال المأثورة عن البشر، بينما هو لا يستشهد بآية واحدة ولا بحديث واحد. وخطيبنا هذا نسي أن لا شيء يملك القدسية والقدرة على التأثير في النفوس كالقرآن. وهذا لا يعني رفض الاستشهاد بأصناف الحكمة والشعر، إنما النقد هنا إلى الذين يبالغون. وفي كل ما يعرضه الخطيب، يجب أن يتحلى بالموضوعية حتى يكتب له النجاح والتأثير.

ثم تأتي الخاتمة، وهي آخر ما يلقيه الخطيب من كلام، وهي التي تعلق بنفوس السامعين أكثر من غيرها، فإن لم يُحسن أداءها ساء أثر الخطبة وضاعت غايتها المنشودة. لذلك وجب أن تمتاز الخاتمة بجمال التعبير، وحسن الانسجام، وجودة المعنى، وإصابة الغرض. وينبغي أن تشمل الخاتمة موجزاً لموضوع الخطبة، وأن تكون مثيرة للعاطفة في الأمر الذي يريد الخطيب تحريك المشاعر نحوه. والخاتمة، ومعها المقدمة،هي الجزء الأهم في الخطبة الذي يظهر فيه براعة أو فشل الخطيب. والخاتمة هي المحطة الأكثر استراتيجية في الخطبة. فإن كانت الخاتمة سيئة ضاع كثير من الجهد المبذول سدى. وقد ثبت أن الكثيرين لا يتقنون ختم الخطبة كما ينبغي وهو ما يجب معالجته من خلال التخطيط المسبق للخاتمة وما سيقال فيها(٢). ومن أراد معرفة قدر الخاتمة، فليطلع على أسلوب القرآن في ختم السور، بل وفي التعليق الوارد في آخر الآيات الكريمة، ليرى كيف أنها أقوى الخواتيم، عسى أن يتأسى بها(٣).

وبهذا، فالخطيب الناجح هو الذي يعرف من أين يبدأ وإلى أين هو ذاهب وكيف يمكنه الوصول إلى هناك. فهو سيد الموقف، لم يكتف بجمع الحقائق مسبقا، إنما حدد ما يريد، ونظم ونسق تلك الحقائق والأفكار لتضمن له الوصول إلى مبتغاه. أما الذي يملك الحقائق غير منظمة فهو كمن يملك شاحنة مليئة بالخردة من غير ترتيب، فإذا أراد قطعة محددة لم يستطع الوصول إليها في الوقت المناسب بسبب الفوضى التي تعم الشاحنة. وبهذا نعلم أن امتلاك الحقائق وحده لا يكفي، إنما يلزم تنسيقها لضمان نجاح الخطيب في الوصول إلى مبتغاه(٤).

---

(١) أبو العدوس. (١٩٩٥). المهارات اللغوية وفن الإلقاء. ص ١٤٠.
(٢) أبو زهرة. (١٩٦٤). الخطابة. ١١٨. ودايل كارنيجي. (١٩٩٩). فن الخطابة. ص١٠٤. وشلبي ومقصود. (٢٠٠٦). الخطابة. ٢٠.
(٣) أبو عايش، (١٩٩٦). فقه الخطابة. ١٢٦/١.
(٤) دايل كارنيجي. (١٩٩٩). فن الخطابة. ص٣٤.

المطلب السابع: انتقاء الألفاظ الفصيحة الجزلة والأسلوب المناسب من غير تكلف

ينبغي على الخطيب اختيار المفردات الفصيحة، وأن يكون اللفظ واضحا ومن السهل إدراك معناه خلافا لما يعتقده من يبحثون عن غريب الكلام في استعراض لقدراتهم. ويجب ألا تكون الألفاظ عامية مبتذلة. فاستخدام اللفظ المبتذل وكل ما هو عامي أمر مذموم يتنافى مع كوْن العربية من شعائر الدين، ويذهب ببهاء الخطبة، وقد يعرّض الخطيب للسخرية. كما ينبغي اختيار الألفاظ المناسبة للحال. ففي إثارة الحميّة والحماسة يختار الألفاظ الجزلة القوية، وفي القضايا الروحانية وفي إظهار الأسى والألم يختار الرقيق من الألفاظ، فلكل مقام مقال.

وبخصوص الأسلوب، هنالك جملة من الأوصاف الضرورية. منها التنويع في فنون القول، من تقرير، إلى تعجب، إلى استفهام، إلى نفي؛ لئلا يذهب نشاط السامعين، فيعتريهم الملل. ومنها تنوع الأسلوب بتنوع المقامات وأحوال السامعين. فلكل مقام نوع من الأساليب، ولكل قوم خطاب. ومنها إيراد الصور البيانية والبديعية إلى جانب الألفاظ الجزلة والاستشهاد بالأشعار والأمثال المناسبة للحال والموضوع(١). ومن ذلك تجميل الكلام في غير تكلف. إذ الأصل في الخطيب ألا يتكلف التحسين والتزيين والسجع، إلا إذا أراد اجتذاب السامعين إلى فكرة أو رأي، وكان ذلك منه قليلاً. فالأصل بالمسلم عامة، والخطيب خاصة، ترك التشدق والتفيهق وسجع الكهان حتى في الدعاء. والسجع المذموم هو القبيح المتكلف، الذي تظهر سماجته وكثرته وثقله، وليس التزيين البسيط المستحسن الذي لا عيب فيه(٢). والمتابع لما يردده الكثير من الخطباء والأئمة في أيامنا حتى في أدعيتهم، يلحظ اعتداء مذموما ورد النهي عنه بقوله تعالى: "ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين"(٣). وقد جمع الدكتور حسام الدين عفانه جملة من صور الاعتداء في الدعاء، كان منها: الانشغال بالسجع المتكلف وتشقيق العبارات والتمطيط والتفصيل والصياح وتحرير النغم والتطريب، وذلك مذموم منهي عنه(٤).

المطلب الثامن: الارتجال في الإلقاء

وجوب التحضير للخطبة لا يعني أن الخطيب لا يحتاج إلى الارتجال؛ إذ القدرة على الارتجال من ألزم الصفات للخطيب. بل لا يعدّ الخطيب في صف الخطباء الممتازين، إلا إذا كان من القادرين على الارتجال. وحاجة الخطيب إلى الارتجال واضحة(٥). بل لقد ذهب بعض الكتاب إلى تعريف الخطبة بأنها: قطعة أدبية نثرية يلقيها الخطيب مشافهة على جمهور من الناس لإقناعهم والتأثير فيهم(٦). هكذا إلى درجة جعل المشافهة وصفا لازما للخطبة عنده. والمران

---

(١) أبو العدوس. (٢٠٠٧). المهارات اللغوية وفن الإلقاء. ١٤٢

(٢) أبو عايش. (١٩٩٦). فقه الخطابة. ٩٥/١، وأبو زهرة. (١٩٦٤). الخطابة. ٢٧١، ومحفوظ. هداية المرشدين. ١٢٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٥

(٤) عفانه، حسام الدين. (٢٠٠٧/١٠/١١). . يسألونك. صحيفة القدس. فلسطين.

(٥) أبو زهرة. (١٩٦٤). الخطابة. ١٤٢.

(٦) أبو العدوس. (٢٠٠٧). المهارات اللغوية وفن الإلقاء. ١٣٩.

على الارتجال يحصل بأمور منها سماع الخطباء المبدعين. وعليه أن يحمل نفسه من وقت لآخر على الارتجال الجزئيّ بالخروج عن الورقة المكتوبة؛ ليتحدث إلى السامعين من ذهنه لا من ورقته، ثم يعود ليكمل من الورقة. ويكرّر العملية، ويزيد في ذلك من خطبة لأخرى؛ حتى يصبح الارتجال أمراً عادياً بالنسبة إليه. وهنا ينبغي الحذر والتدرج، وأن يكون الخروج إلى الارتجال من غير إخلال بموضوع الخطبة ونقاطها. ثم يجتهد بعد ذلك ألا يقرأ حرفيا من ورقة. ثم إذا دأب على ذلك، أمكنه الحديث على البديهة حتى من غير تحضير عند الضورة.

والخطباء بخصوص الارتجال أصناف: صنف متمكن قادر على الارتجال وتنسيق الكلام، مجرب واسع الاطلاع والمعرفة، حاضر البديهة، لسانه طلْق، يملك ناصية البيان، ولديه ذاكرة قوية ورصيد من الاستشهادات، فهذا الصنف يرتجل ولا ريب. وصنف قدرته على التسلسل والحفظ دون الأول، فهذا بحاجة لأن يكتب رؤوس الأقلام وبعض الاستشهادات اللازمة في ورقة يستعين بها حتى لا يخطئ فيها أو يشتّ عنها. وصنف بحاجة إلى أن يكتب الخطبة كاملة في البيت مسبقاً، ويتدرّب على حفظ مجملها غيباً ، ثم إذا صعد المنبر ارتجل غيباً، مع الاستعانة بالورقة أحياناً عند اللزوم، شرط ألا ينظر في الورقة كثيراً. وصنف لا يصلح له الارتجال، إنما عليه أن يكتب الخطبة، وأن يشكل أواخر الكلمات حتى لا يلحن بالقول، وإلا رفع المضاف إليه والمفعول، كما يقول أحمد شوقي. والأصل ألا يتصدر هذا الفريق الخطابة، وألا يرتقي المنبر.

وينبغي الإشارة إلى أن الخطابة من ورقة لا تعيب الخطيب في شيء إذا كان المكتوب هو الملاحظات والأفكار الرئيسية ومعها بعض الآيات والأحاديث التي يحتاج إليها الخطيب. بل على الخطيب أن يعلم بأن هذه الطريقة هي خير حافظ له من الخلل، أو النسيان، وهي التي تضمن له تسلسل أفكاره وصولاً إلى الغاية المنشودة. وإن كان من عيب، فإنما يكون في القراءة الحرفية من الورقة المكتوبة حتى دون أن يرفع بصره إلى الجمهور.

المطلب التاسع: تحسين النطق ومعالجة اللحن وسائر العيوب البيانية

اللسان عدة الخطيب الرئيسية و كل ما سواه في المحل الثاني. لذا ينبغي أن تكون أداته هذه كاملة من غير خلل. وهو ما يوجب معالجة عيوب النطق والعيوب البيانية إن وجدت وكان ذلك مما يعالج عادة. وقد دعا نبي الله موسى ربه فقال: "**واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**"(١). والعيوب على أنواع: منها ما يتعلق بقوانين الخطابة وفن الإلقاء، وبخاصة من حيث نبرة الصوت. فأحياناً تكون رناته حادة مزعجة، أو لا تكون من القوة بحيث تسترعي الانتباه. ومنها ما يتعلق بتعذر النطق بحرف، والنطق بحرف آخر بدلاً منه (٢). وفي هذه الحالة الأخيرة لا ينبغي لصاحبها أن يعتلي المنبر أو يتقدم للإمامة. وعلى الأوقاف أن تحول بينه وبين المنبر. والنطق الحسن يحتاج إلى عناصر لا بدّ من توافرها. منها إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة. ومنها تجنب اللحن، وعدم النطق بغير ما توجبه قواعد النحو، فإن سوى ذلك يفسد

---

(١) سورة طه، الآية ٢٧.
(٢) أبو زهرة. (١٩٦٤). الخطابة. ٥٩-٦٤، و١٤٥-١٥٠

المعنى، ويذهب برونق الخطبة، ويضعف تأثيرها في نفوس المستمعين. ومنها التمهل في الإلقاء بدل دفق العبارات وحدر المعاني.

وقد يظن بعض الخطباء أن اللحن بالقول لا يضرّ في شيء، وهذا زعم باطل جملة وتفصيلاً. وحبذا لو اطّلعوا على ما يفكر به المستمعون نحوهم عندما يخطئون هذه الأخطاء الجسيمة؛ كي يعلموا فداحة ضرر اللحن عليهم وعلى خطاباتهم. ومن العجب أن يقول بعض الخطباء أنه ليس على المطرب أن يعرب، وأن العبرة بالمضمون، وأنه لا فرق بين الرفع والكسر ما دام المعنى مفهوماً. عجيب كل هذا، بل هو مثير للسخرية. ولست أدري كيف سنؤمِّن على اجتهاد في الدين من لا يستطيع التمييز بين الفاعل والمفعول به. ولا شك أن بعض اللوم يقع على الكليات التي تخرجوا فيها(١). بل لعل بعضهم يعتلي المنبر ولم يكن قد تتلمذ يوماً على علوم الدين واللغة. ولعل الصورة التي رسمها علي القرني لبعض خطباء هذا الزمان تكون كافية في التعبير عن الوضع السيّئ الذي وصل إليه هذا بعضهم، حيث يقول: "إن وجود الخطيب الناجح في زماننا هذا قد ندر، فنحن في زمن عجيب، وفي عصر غريب. بلينا فيه بخطيب غير أديب ولا مصيب. إذا تكلم تلعثم وهمهم وغمغم وتمتم. إذا بدأ بالكلام اعتذر، لا يدري ما يأتي وما يذر؛ لأن كلامه هذر مذر. ابتلي الرجل بالسعال وكثرة الانفعال وسوء التعبير في المقال. يا ليت بعض الخطباء اشتغل بالتجارة، أو مارس البناء أو النجارة، وترك المنبر لأهل الإبداع والجدارة. ترى بعضهم إذا تكلم لا يكاد يبين، كأنه من الأعجمين، ينطق بالحرف مقلوباً، ويجعل المرفوع منصوباً، ملأ خطبته عيوباً وندوباً وثقوباً"(٢). بينما اللسان الفصيح البليغ يدمغ بالحجج ويفلج بالبراهين، فهو كالسيف البتار يقطع الأوهام ويجلو الشبه ويفصم عرى الباطل(٣). لذا فليس بمستغرب أن يقول الله لنبيه الكريم: "وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا"(٤).

المطلب العاشر: تجنب القصص غير الموثوقة

ينبغي على الخطيب تجنب الإغراق في القصص في خطبة الجمعة، وبخاصة تلك التي لا سند لها من القرآن والسنة (٥). وهذا يتطلب من الخطيب دقة وحساً يفرق بهما بين المعقول وغيره من القصص الذي يغلب عليه التسلية والمبالغة والدجل أكثر مما يغلب عليه بيان أو تعليم أو تهذيب. وإلا فقد يعرض نفسه ومعه دين الله تعالى للسخرية. ومن ذلك أيضا تجنب الإسرائيليات الموجودة في بعض كتب التفسير وعدم الركون إليها في تفسير القرآن الكريم وما ورد فيه من قصص وأحداث.

---

(١) يقول د. إبراهيم أبو سالم أستاذ الشريعة في جامعة القدس بأن قبول أصحاب المعدلات المتدنية لدراسة الشريعة هو رأس البلاء.

(٢) القرني، روضة الخطيب. ١٤٢٥/٣/٢٢هجري، الإنترنت: www. almenbar.net.

(٣) القرني. (٢٠٠١). مملكة البيان. ص ١٢.

(٤) سورة النساء. الآية ٦٣.

(٥) قرعاوي. (١٩٩٣). وسائل الدعوة. ص ٣١.

المطلب الحادي عشر: قصر الخطبة

أكثر الخطب المروية عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، ثم عن سائر الخطباء في العصر الأول قصيرة، مع وجود بعض الخطب الطويلة التي لها أسبابها الخاصة. حيث يخشى أن يكون في التطويل حرج على الناس، ثم إن الإنسان كلما كثر حديثه كثر سقطه[١]. ومن فقه الخطيب قصر خطبته وطول صلاته. يُروى أن عمار بن ياسر تكلم يوماً، فأوجز، فقيل له لو زدتنا، فقال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإطالة الصلاة وقصر الخطبة[٢].

أما الخطباء الذين يطيلون خطبهم في كل جمعة، ولا يراعون مشاغل الناس وظروفهم الصحية والخاصة والأمنية، بل ولا يراعون وصايا النبي عليه الصلاة والسلام بالتخفيف، فبأي مستند يتمسكون؟ ولماذا يرغب الواحد منهم أن يكون فتانا رغم تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك؟ وقد يكون الجو حاراً إلى حد القيظ، والمسجد مزدحم بالمصلين، وبعضهم جالس تحت أشعة الشمس ينتظر إقامة الصلاة في الطريق لعدم وجود متسع في المسجد. والغريب في الأمر، أنه يمكن للخطيب إجمال موضوع خطبته في بضع دقائق لو أراد. فهل هي شهوة الحديث وبريق المنبر؟ أم أنه العجز عن وضع ما يريد في مجموعة أفكار محددة؟ أم أن عدم التحضير يدفعه لقول كل شيء لأنه لا يعرف ما يريد؟ أم أنها الرغبة في شرح كل الدين وكل ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة في خطبة واحدة؟ أم أنه الظن بأن طول الخطبة من علامات الجودة والتميز؟

لقد تبين من خلال المقابلات التي أجريتها مع المختصين، ومن خلال الاستبانة، أن ثلث الساعة يكون كافياً للخطبة الأولى في الظروف الطبيعية، وأن الخطبتين ينبغي ألا يزيدا على نصف الساعة، إلا في حالات خاصة ونادرة تدعو إليها الحاجة الماسة.

والخطيب الذي لا يستطيع اليوم اختزال خطبته لتتناسب مع روح العصر المتسمة بالسرعة لن يكون محل ترحيب. وقديما حكي عن قبيلة كانت تشترط على الخطيب الوقوف على رجل واحدة أثناء خطابه لتضمن اختصاره للخطبة وعدم الإطالة[٣]. ولذا كان النبي عليه السلام لا يطيل الموعظة يوم الجمعة، إنما هي كلمات يسيرات كما قال الشوكاني [٤].

المطلب الثاني عشر: إتباع الوسطية في الفكر والتيسير في الفتوى

ينبغي للخطيب تبني الوسطية في الفكر، والتيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة، إتباعاً للمنهج النبوي الذي علمه الرسول الكريم لأصحابه، كما في قوله: "يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا"[٥]. وذلك في مجمل الآراء المتعلقة بأحوال الفرد، أو بأحوال الأسرة، أو بأحوال

---

(١) أبو زهرة. (١٩٦٤). الخطابة. ٢٧٢.
(٢) مسلم. كتاب الجمعة. ح ٨٦٦، ٨٦٩. وفي المحلى لابن حزم ٦٠/٥: لا تجوز إطالة الخطبة.
(٣) دايل كارنيجي. (١٩٩٩). فن الخطابة. ص١١٢.
(٤) الشوكاني. نيل الأوطار. ٣٢٧/٣.
(٥) جامع الأصول. ح صحيح ٩١، ١٠٧٧، ٢٦٤٠، (في البخاري ومسلم وغيرهما بصيغ متقاربة).

المجتمع وسياسته واقتصاده وقوانينه وعلاقاته الدولية، ذلك أن الشريعة مبناها على التيسير. علما بأن الخطاب الديني الحالي قد تسلل إليه التزمت والجنوح إلى التشديد والتعسير، حتى إنه أحيانا يتبنى أشد الآراء تضييقاً على الناس، في مخالفة للسنة النبوية المطهرة.

المطلب الثالث عشر: المحافظة على مراتب الأعمال ومراعاة فقه الأولويات

فكثير من الوعاظ والخطباء أخلوا بالنسب الشرعية بين الأعمال فكبروا الأمور الصغيرة وصغروا الأمور الكبيرة. وقد كان المفترض وضع كل شيء في نصابه الصحيح من غير مبالغة ولا تقزيم. والمعيار السليم لدرجة الاهتمام بالأشياء والأعمال، هو أن نهتم بها على قدر اهتمام القرآن بها. فلا يجوز أن نضخم الحديث في عذاب القبر مثلاً إلى حد التسبب بالأحلام المخيفة للأطفال مع أن القرآن لم يفعل ذلك. ثم إنه لا يجوز للخطيب أن يتجاهل قضايا الأمة الكبرى وهمومها العامة، منشغلاً عنها بقضايا هامشية فرعية، وكأنه لا علاقة له بما يدور حوله ولا بما يجري في أرض الإسلام. فأين وحدة الأمة؟ وأين أخوة الإسلام؟ وأين تضامن المسلمين؟

المطلب الرابع عشر: دراسة فن الإلقاء والإفادة منه

لا شك أن أسلوب عرض الفكرة والموعظة يحظى بأهمية خاصة في علم الخطابة، وذلك لدوره في التأثير في المستمعين وحملهم على القبول بما يقوله الخطيب، تماما كما تفعل الحجج والأدلة التي يسوقها الخطيب. وربما ألقى شخصان نفس الخطاب فنجح أحدهما وفشل الآخر، والأمر لا يعود إلى الموضوع والأفكار فهي ذاتها، إنما يعود إلى الطريقة التي عرض فيها الموضوع. فالإلقاء الجيد يصنع من الكلمات العادية شيئا عظيما، بينما الإلقاء السيئ يجعل من الأفكار الجميلة أمرا هزيلا. لذا فقد اعتنى الإنسان بهذا الأمر من سالف الزمان، وبدت التجارب الإنسانية بالتراكم مشكلة فنا متميزا بات يسمى بفن الإلقاء. ولا يسع الخطيب في أيامنا إلا الإطلاع على هذا الفن والإفادة منه لغرض تطوير خطابه وتحصيل أعلى درجات التأثير في المستمعين. وهذا الفن بصورة عامة هو من جنس المشترك الإنساني الذي لا علاقة له بدين الخطيب ولا هويته. وهو أمر يتحصل بالمران والتدريب، ويتعلق بالصوت والهيئة ولغة الجسد والحركات والإشارات وطريقة الدخول إلى المنبر وهيئة الوقوف فيه وطريقة الإلقاء وكيفية الدخول في الخطاب والخروج منه. وهي قضايا عالجتها العديد من الكتب التي ينبغي إحالة الخطيب عليها للإفادة منها [(١)].

فالإشارات لها دور في إثارة الانتباه وتقوية الدلالة وتأكيد الكلام في نفوس السامعين. غير أن للإشارة قيوداً وضوابط لا تحسن إلا بها. فلا ينبغي أن يكرر الخطيب إشارة معينة بشكل لافت يعرضه للسخرية. والخطيب المتمكن هو من تكون عباراته قوية في ذاتها حتى من غير حاجة إلى كثير حركة، ذلك أن كثرتها تذهب بسمْت الخطيب ومهابته. حيث ينبغي أن يتحلّى

(١) من ذلك كتاب فن الخطابة لمؤلفه دايل كارنيجي، وكتاب الخطابة لأبي زهرة، وكتاب كيف تكون خطيبا لعلي الرفاعي، وكتاب أصول الإلقاء لفرحان بلبل، وكتاب فن الإلقاء لعدس، حيث تم الاعتماد على تلك الكتب وأمثالها لهذا المبحث.

الخطيب بالسكينة والوقار والثبات في وقفته من غير تنقل كثير وحركات مخلة. نعم، قد يحتاج الخطيب أحياناً إلى بعض الحركات التوضيحية، أو بغية لفت انتباه السامعين والتأثير فيهم. إلا أن ذلك ينبغي أن يكون في حدود المعقول، وأن تخرج كل الحركات والإيماءات بشكل طبيعي وتلقائي ومن غير تقليد لأحد.

يلحق بهذا درجات صوت الخطيب وتردداته. ذلك أن للأصوات أثراً كبيراً في وقع الكلام على السامعين. لذلك يجب على الخطيب أن يروّض صوته على تصوير المعاني، ولكن من غير تكلف ولا مبالغة كاذبة، وأن يجعل من نغمة صوته دلالة أخرى فوق دلالة الألفاظ والحركات، وليجعل صوته ناقلا صادقاً لمشاعره، وليعلم أنه لا شيء كالصوت يعطي الألفاظ الحياة. وينبغي أن يجعل صوته مناسباً لسعة المكان ولعدد السامعين. فلا ينخفض حتى يصير في آذانهم همساً، ولا يعلو حتى يكون صياحاً وصراخاً. وينبغي أن يبدأ الخطيب بصوت منخفض، ثم يرفعه ويغير في طبقاته خفضا ورفعا حسب الحاجة كما يفعل أثناء المحادثة الطبيعية من غير تكلف. "فليس للخطيب أن يبدأ صارخا مفجوعا" (١). كما يجب على الخطيب أن يوازن بين طاقته وزمن خطبته، وإلا أصابه إعياء قبل الوصول إلى النهاية. وأكثر من يقع بهذا الخلل هم الشباب، وذلك بسبب انفعالهم بحكم عمرهم وفتوتهم، وبسبب غيرتهم وحرقتهم على الواقع الكئيب إلى درجة الرغبة في تغيير العالم بخطبة واحدة. وربما كان السبب في أن الشباب امتلك العاطفة والاندفاع، لكنه لم يمتلك الحكمة التي توزع هذه الاندفاعات في مجالها الصحيح. فإن رفع الصوت فوق الحاجة ليس من الحكمة، ولا يسرع في حل المشكلات ولا في عودة المجتمعات إلى الصراط المستقيم. بل لعل الصراخ يؤذي حتى الحاضرين، فينقلب مقصد الخطيب إلى الضد والنقيض.

ثم إن الخطيب الجيد جدا هو الخطيب الطبيعي جدا، والقادر على خلق التواصل مع المستمعين. فهو يتحدث إليهم بشكل مباشر من غير حاجز مصطنع تماما كما لو كان معهم في مجلس حوار مع أنه ينقل لهم معاني كبيرة في عبارات عادية لا تكلف فيها وتخرج منه بشكل عفوي وطبيعي من غير تصنع ولا تقعر فيجذب الناس إلى ما يود قوله إليهم بدل إشغال نفسه بالتنميق المكلف. والتواصل يستلزم أن لا يبقى الخطيب محدقاً في ورقة يقرأ منها لأن ذلك يعزله عن جمهوره. وكان الأولى به النظر إلى جمهوره ومحادثتهم لضمان انجذابهم إليه.

ثم إن الخطيب الناجح لا يسعى لتقليد غيره في الأسلوب، إنما يحرص على تطوير ذاته، فما من اثنين متطابقين حتى يستعير أسلوب شخص آخر. فلكل إنسان أسلوبه الذي يناسبه ويعبر عن شخصيته. ومن قلد غيره فقد كتب على نفسه الفشل وخرج خطابه فاشلا ممجوجا مشوها. وبالتأكيد، فإن هذا لا يمنع الخطيب من الإفادة من الخطباء المشهورين. إنما النقد متوجه للتقليد المذموم الذي يتقمص فيه الخطيب أساليب الآخرين بدل تطوير ذاته وأساليبه.

ويبقى فن الإلقاء علما قائما بذاته، وعلى الخطيب الإحاطة به والأخذ بأحسن أساليبه، إذا قصد حسن الأداء والتأثير، وهي أمور منثورة في مظانها، وما على الخطيب إلا تتبعها والعمل

---

(١) القرني. (٢٠٠١). مملكة البيان. ص١٥.

بها. كما أن هنالك جملة صفات لا بد من تحققها في الخطيب حتى تعينه في إجادة فن الإلقاء. من ذلك: سلامة النطق وصحة مخارج الحروف عنده، وجهارة الصوت وموسيقاه السليمة لديه، وموهبة فطرية للخطابة، وثقة بالنفس تتعزز بجملة أمور، وقوة حجة، وحرارة عاطفة، وسعة ثقافة، ومعرفة بظروف المستمعين وطباعهم ونفسياتهم.[١] كما أن هنالك جملة أمور على الخطيب تجنبها، ومن ذلك: الكلمات والعبارات الركيكة والغامضة والسوقية والمبتذلة، واللغة والأسلوب العدواني الذي يقطع الأواصر مع الجمهور ويحول دون تقبلهم لحديثه، واستخدام السخرية والتهكم والدعابة الممجوجة سواء في الأمور المقدسة في نظر الناس أو الأمور المحرجة، ووضع اليدين في الجيوب أو على الخصر بشكل يوحي بالاستهتار وعدم احترام الموقف والجمهور، والاستعلاء والغرور والتكبر الذي يظهر من خلال ازدراء الحضور أو دوام اللمز بالعلماء المعاصرين والسابقين والأقران وكل صاحب شأن وكأنه لم يخلق في العلم والمنطق سواه فكل الناس على ضلالة إلا هو، وكثرة الحركات والإشارات التي تذهب بهيبة الخطيب والمقام، والتأخر في الوصول إلى المكان لأن ذلك يربك الخطيب ويعرضه للمز تماما كمن يصعد المنبر دون تحضير كاف أو ترتيب مسبق لأفكاره وأوراقه على حد سواء [٢].

المبحث الرابع: الخطاب الديني المنبري في ظل المستجدات المعاصرة ومخرجات العولمة

لا شك أن الخطيب الناجح هو الخطيب الذي يعالج الواقع وقضاياه المستجدة. أما الخطيب الذي يتجاهل المستجدات ويحجز نفسه في بطون الكتب وما حوته من مسائل وقضايا لم يعد لها وجود، فهذا محكوم عليه بالفشل غالبا. فالمجتمعات تواجه في كل عصر مستجدات وأحداث لا حصر لها. وهو ما يفرض على الخطيب متابعة تلك الأمور المستجدة ووضع المعالجات المناسبة لها. وفي زماننا هذا حدثت تغيرات وأحداث كونية ومحلية جسام كان من أبرزها: زيادة حدة الصراع العالمي، وزيادة التكالب على مقدرات العالم الإسلامي وحضارته ومقومات نهوضه، بينما المسلمون يعانون من أسوء حالات الفرقة والتمزق والدونية والتخلف الحضاري، خلافا للعالم الذي يشهد نهضة كونية هائلة في معظم مجالات الحياة. فقد بات الناس يتحدثون عن العولمة وما بعد العولمة. وغني عن البيان ما واكب العولمة من هيمنة للدول الكبرى وللشركات العملاقة على العالم بما فيه من مقدرات وثروات وتوجهات. يضاف إلى ذلك ما نجم عن العولمة من مخرجات في شتى مجالات الحياة. صحيح أن بعض هذه المخرجات أصبح قيمة إنسانية تلتقي عليها البشرية على اختلاف أعراقها وأديانها، بمنزلة القاسم المشترك الذي لا ينازع فيه أحد. بيد أن بعض هذه المخرجات تمثل في اتساع دائرة الجريمة، والإباحية، والتلوث البيئي، وانتشار أسلحة الدمار الشامل والحروب الكونية والعرقية، واتساع الثراء الفاحش لفئة تحتكر معظم ثروات كوكبنا إلى جانب الفقر الذي تعاني منه بعض شعوب العالم إلى حد المجاعة، وما رافق ذلك من استفراد بمصائر العالم تمارسه القوى التي تتحكم بمكونات العولمة وأدواتها. بل وما رافق ذلك من ثورة هائلة في مجال الاتصال والإعلام إلى حد تحويل العالم إلى قرية كونية

(١) عدس. فن الإلقاء. (١٩٩٥). ص ١٥.
(٢) أبو العدوس. (٢٠٠٧). المهارات اللغوية وفن الإلقاء. ص ٢٢٠.

مكشوفة الفضاء أمام آلاف الفضائيات التي ترقب الأحداث الصغيرة والكبيرة وتعيد بثها عبر الساعة بكل لغات العالم.

وبالتأكيد، فإن الخطيب الناجح لا يملك تجاهل هذه المستجدات الهائلة، بل إن على الخطاب الإسلامي عامة متابعة تلك القضايا وتبيان الموقف الصحيح تجاهها. فالمسلمون لا يملكون تبني كل جديد وكل ما أفرزته العولمة بداعي التطور والحداثة. وذلك نظراً لما نتج عن العولمة من أمور لا يقرها عقل ولا دين. كما لا يحق للمسلمين رد كل جديد وكل ما أفرزته العولمة جملة واحدة. لأنهم بذلك يحكمون على أنفسهم بالتخلف والبقاء خارج الزمان، فضلاً عن أنهم بذلك قد يردوا بعض الخير الذي توصل إليه العقل الإنساني. ومعلوم أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها. والحكمة لا تنحصر في العلم التقني. بل هنالك جملة من المفاهيم التي أصبحت قيماً إنسانية يمكن للبشرية أن تلتقي عليها، وأن تنسق جهودها فيها. وبالتالي، فالمسلمون لا يملكون إلا التعاطي مع هذه القضايا وفق مقاصد الشريعة ومصالح العباد. كما أن هذا الانفتاح الإعلامي الواسع الذي حول العالم إلى قرية كونية يحتم على المسلمين فحص كل ما يصدر عنهم من قول أو فعل وسلوك حتى لايسيئوا لأنفسهم ودينهم. كما لا بد من مراجعة تراثنا، لفحص مدى توافق هذه الجزئية أو تلك من التراث مع ديننا الحنيف، قبل أن يصدح بها الخطباء على المنابر. فعلى المسلمين أن يراجعوا أنفسهم وأفكارهم وعاداتهم ومفاهيمهم مرة بعد مرة؛ للتأكد من اتساقها مع روح الشريعة، قبل أن يلقوا بها لمن يتصيدوا الأخطاء ويستخدموها في الصد عن دين الله القويم. وينبغي أن نجعل الحكم في ذلك إنما يعود إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم وما كان عليه السلف الأول لهذه الأمة، من غير تراجع عن تلك الصورة المشرقة إلى ما صارت عليه الحال في القرون اللاحقة، فإن خير القرون قرن النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام. والعجيب أن بعض الناس قد يترك قول النبي إلى قول الصحابي، وقول الصحابة إلى قول المصنفين اللاحقين، وقول أئمة المذاهب إلى قول الشُراح وأصحاب الحواشي المتأخرين. والمسلمون مطالبون اليوم، بتقديم صورة نموذجية واضحة وسليمة عن الإسلام الذي نعتنقه وندعوا إليه. وخير صورة لذلك هي تلك الصورة المشرقة التي كان عليها النبي وصحبه الكرام، فلنعرضها كما هي. وكما قال عليه السلام: "نضر اللهُ امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلّغ أوعى من سامع" و"من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" و"بَلِغوا عني ولو آية"(١). تزداد أهمية ذلك في ظل التناقض الهائل في فهم الدين بين المسلمين أنفسهم وفي ظل تعدد الجماعات الدينية وتناقضها، مما حال دون وجود صورة مفاهيمية موحدة عن الإسلام، وهي قضية ينبغي شحذ الهمم لمعالجتها دون تأخير أو تردد. ولا بد من دوام مراجعة الخطاب الإسلامي وفق مستجدات العصر، ولكن في ضوء الثوابت حتى لا يكون المطلوب حرف الإسلام عن حقيقته وسلخ الأمة عن تاريخها(٢).

---

(١) جامع الأصول. مج ٨، ح صحيح وحسن. ٥٨٤٨-٥٨٥٠، (البخاري والترمذي وأبو داوود وأحمد والدارمي والنسائي).

(٢) تعددت المقترحات للشروع بتأسيس خطاب إسلامي مناسب لعصر العولمة. يأتي في مقدمة ذلك ما أورده القرضاوي في كتابه خطابنا الديني في ظل العولمة، والذي أفدت منه لعلاقته بموضوع البحث.

إلى جانب عرض الإسلام بصورته المشرقة، وإلى جانب تحديد الموقف السليم تجاه مخرجات العولمة، لا بد من معالجة قضايا مجتمعاتنا ووضع الحلول المناسبة لها. من ذلك التركيز على قضايا التنمية بكل أشكالها: تنمية الإنسان والمجتمع، والتنمية السياسية، والتنمية الفكرية، والتنمية الاقتصادية، وسائر قضايا العدالة والنزاهة والحريات العامة والخاصة. ذلك أن مكونات الحضارة وعناصر النمو والرقي والتحرر متداخلة، وتنعكس على بعضها وتعمل مجتمعة. وينبغي أن تكون قضايا التنمية ضمن اهتمامات الخطيب يعظ الناس بشأنها فيحضهم للإسهام في التنمية كما يحضهم على الصلاة والصيام. ومن ذلك التركيز على الانتماء للبلد والناس، وذلك لترسيخ الحرص على البلد، ومواطنيه، ومدخراته، وطاقاته، وشوارعه، ومؤسساته، ومراكزه، وشجره، وأرضه، وكل ما فيه. خاصة في حالة الانقسام العنيفة التي تعاني منها مجتمعات المسلمين وما يرافقها من استباحة بعضهم لكل شيء فيها حتى لو كان من أقدس الأمور. كما ينبغي التحذير من السلوك اللامنتمي، الذي تعمل العولمة على تعميمه في الأرض؛ ليسهل اختراقها للعالم وثقافاته وهُوياته في ظل غياب الانتماء وفي ظل حالة التمزق والصراع الداخلي الطاحن. وهو ما يفرض على الخطيب بذل الجهد في التقريب بين الناس ومعالجة عوامل الفرقة بين أفراد المجتمع وشرائحه ومكوناته السياسية والعرقية. وعلى الخطيب إتباع الحكمة التي رسمها القرآن الكريم بقوله: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن"[(١)]. ولعل من الحكمة هنا التركيز على القواسم المشتركة، لا على نقاط الاختلاف، فإن وجود أرض مشتركة بين الناس يساعد على جدية الحوار وجدواه، وإمكان الانتفاع بما هو متفق عليه. وليس من الحكمة دوام التطرق إلى نقاط الخلاف وإثارتها، لأن ذلك يزيد في الفرقة والصراع.

ومن القضايا الداخلية التي ينبغي معالجتها بحرص: حقوق الأقليات الدينية في بلادنا. فعلى الخطيب التأكيد على حفظ كيانهم الخاص، وصون شخصيتهم الدينية، ومراعاة حرمات معابدهم وشعائرهم، رعاية لمشاعرهم وأحاسيسهم وحقوقهم، وضمانة للاستقرار والأمن في المجتمع، وقطعاً للطريق على أعداء الأمة الذين يحاولون إشغال الأمة بنفسها من خلال إثارة عدد من الصراعات الداخلية، ومن بينها ملف الأقليات في المجتمعات الإسلامية. فضلاً عن أن ذلك قد يتخذ ذريعة للإساءة للإسلام، ولتشويه صورته المشرقة. ثم إن المسلمين مطالبون بحكم الشرع أن يحفظوا لهم حقوقهم كاملة غير منقوصة.

وعلى الخطاب الإسلامي كذلك معالجة قضايا المرأة لإنصافها وتحريرها من ظلم الجاهليات المختلفة، سواء أكانت جاهلية عصور التخلف والتراجع الحضاري عند شعوب المسلمين التي حرمتها من معظم حقوقها وأدوارها، أم كانت جاهلية القرن الجديد الوافدة من الغرب والتي تريد أن تخرج المرأة عن فطرتها وأن تجعل منها مجرد جسد أو أداة للغواية، وفي ذلك ظلم للمرأة لا يقل خطورة عن ظلم الجاهلية الأولى. ويلحق بذلك سائر الشرائح المستضعفة

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

وأصحاب الحاجات الخاصة في البلد، لخلق توجهات إيجابية بخصوصهم ولتبني مطالبهم العادلة والدفاع عنها.

غير أنه لا يجوز للخطيب أن تستهلكه القضايا المحلية إلى حد تجاهل ما يجري في عالمنا الكبير اليوم، وتجاهل ما تشكو منه البشرية، بل وتجاهل ما يخططه الآخرون ضد بلاد المسلمين. كما لا يجوز لخطيب أن يتغافل عما يثار من صدام الحضارات أو حوار الحضارات، أو أن يصمت عما يريده الآخرون من تغيير هويتنا ومناهجنا التعليمية. وهي قضايا في غاية الأهمية، وعلى الخطيب تناولها ومعالجتها بحكمة وموضوعية وغيرة.

وفي المجمل، فعلى الخطيب التحلي بالمعاصرة ومعالجة الواقع فيما يطرح من قضايا، بدل التقوقع على الماضي ومسائله. ومن العجب أن بعض الخطباء ما زال "يخاطب الأحياء بقضايا الأموات"[١]. ثقافته كلها قديمة والمشكلات التي يتحدث عنها مشكلات أزمنة مضت. ترى بعضهم يتحدث في مسائل كخلق القرآن، مع أنها فتنة انتهت منذ قرون. فليست المشكلة اليوم مع من يقول بخلق القرآن، بل مع من ينكر القرآن، أو مع من يؤمن بذلك، ولكنه لا يرضى به مرجعاً لشرائعه ومفاهيمه.

والمعاصرة لها سمات معينة يجب أن تراعى كما قال القرضاوي، ومنها: العقلية العلمية، والتجديد، والمرونة، وقابلية التطور في ظل ثبات الأهداف. فما زال بعضهم يحرم الأخذ بالأمور المستجدة بذريعة أنها مقتبسة من الكفار، مع أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، اقتبس بعض نظم الخراج والدواوين من الفرس والرومان. وفي مقابل هؤلاء نجد المتسيبين الذين يجعلون الدين كالعجين في يد الخباز يشكله كيف يشاء. وفي كلٍ شرٌ.

الخاتمة والتوصيات

ناقشت هذه الدراسة موضوع خطبة الجمعة وما ينبغي أن يكون عليه الخطاب الديني وفق المواصفات التي حددتها المصادر الإسلامية وفي ضوء المسؤوليات المتجددة التي تفرضها الأوضاع المحلية والمتغيرات الكونية وبروز العولمة، فضلاً عن بروز دور ملحوظ للعاملين في الوعظ والخطابة، إما لدفع الشارع لسلوك معين، أو للدعوة إلى الوحدة وتفويت الفرصة على المتربصين بالأمة والوطن، أو لتشجيعهم على الثبات في وجه الممارسات التي تستهدف وجودهم وأرضهم وقيمهم وأخلاقهم ووحدتهم، أو لدفعهم للإسهام في تحقيق وتمثل شروط النهضة والتقدم أسوة بسائر شعوب العالم ودوله المتحضرة.

وقد عملت هذه الدراسة على تحديد المواصفات الضرورية الواجب توفرها في الأئمة والوعاظ كمعايير أساسية. كما سعت لفحص مدى توفر تلك المعايير فيهم على أرض الواقع، مقدمة لوضع التوصيات، حيث أمكن الخروج بعدد من النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

---

(١) القرضاوي، يوسف. (٢٠٠٤). خطابنا الإسلامي في عصر العولمة.

١. هنالك عدد من المواصفات التي على الخطيب التزامها شرطاً لنجاحه في رسالته. بعض هذه المواصفات يتعلق بشخصه وما ينبغي أن يكون عليه، وبعضها يتعلق بالخطبة من حيث الشكل والموضوع وطريقة الأداء. وهنالك كثير من المصادر التي رصدت تلك المواصفات للخطبة والخطيب على حد سواء، وعلى الخطباء مراجعتها. ولا بدّ من التوصية بنشر أكبر عدد ممكن من تلك الأدبيات على الخطباء للإفادة منها.

٢. يتضح أن الخطابة ليست علماً مجرداً يتعلمه الناس عن طريق التعلم النظري المجرد، بل هي علم تطبيقي يقوم على التدريب لاكتساب المهارة اللازمة. وهو ما يؤكد ضرورة تعاون كليات الشريعة والأوقاف والتربية والتعليم في توفير الفرصة للطلبة كي يتدربوا على فنون الخطابة والوعظ والتدريس إجبارياً.

٣. هنالك شكوى من تدني المستوى العلمي لفريق من الخطباء مما ينعكس سلباً على أدائهم وفتاواهم. وهو ما يحتم على كليات الشريعة مراجعة خططها وأساليبها التعليمية، ومناهجها ومقرراتها وأداء مدرسيها لمعالجة الأسباب الحقيقية لهذا الضعف. فضلا عن دعوة وزارة الأوقاف للسعي لمعالجة الواقع الحالي من خلال ورشات تدريبية متخصصة.

٤. هنالك معضلة حقيقية تتعلق بالضعف الشديد في لغة بعض الخطباء إلى درجة تثير النقمة أحياناً على الخطيب والأوقاف وكليات الشريعة. وهو ما يستدعي ضرورة البحث في أسبابها، لوضع الحلول المناسبة لها.

٥. ينبغي على كليات الشريعة الاهتمام بإتقان طلبتها أحكام التلاوة والتجويد بشكل جيد في كلية الشريعة؛ وذلك لأهمية هذا العلم ولأن الخطيب لا يستغني عنه.

٦. على الخطباء تناول قضايا الأمة، والناس، والمجتمع، والمواطن، والقضايا المعاصرة الملحة، والمخاطر التي تعترض الأمة والمنطقة والوطن. ولكن على أن يكون كل ذلك لغاية وعظية تعليمية ومن منطلق جمعي عام غير حزبي بالمفهوم الضيق، وبأسلوب يحفظ النسيج المجتمعي ووحدة المصلين، وبما يجنب المسجد الصخب والخصومة ويحفظ له قدسيته. وعلى الخطباء كذلك تجنب التشهير بالهيئات والأحزاب والأشخاص.

٧. على الخطباء إعداد الخطبة، وتحديد أفكارها مدونة باختصار، بل وكتابتها لمن لا يحسن إلقاءها ارتجالاً، وعدم الإطالة في الخطبة، والظهور بهيئة لائقة ومنظر مرتب.

٨. على الخطباء الاستشهاد لكلامهم بالقرآن الكريم وبالسنة الصحيحة دون الضعيف منها، في الدرجة الأولى.

٩. على الخطباء دوام المطالعة وعدم التوقف عن تلقي العلم، وضرورة سعي الأوقاف لتشجيع ذلك عبر برامج تبتكرها، خاصة وقد لوحظ ضعف المطالعة لدى كثيرٍ منهم بشكل ملحوظ، وهو ما ينعكس على أداء الخطيب فيصير مملاً وخارج عصره.

١٠. على الخطباء متابعة المستجدات الفكرية وموجة العولمة وآثارها، لما لذلك من انعكاسات وتأثيرات مصيرية على مستوى الأمة والمواطن في شتى المجالات، بدءاً بالقيم والأخلاق، ومروراً بالاقتصاد، وانتهاءً بالأمن والهُوية والانتماء.

١١. على الأوقاف تحسين وضع الخطباء المالي والوظيفي حفاظاً على هيبتهم، وحتى يتفرغوا للاهتمام بتطوير أنفسهم.

١٢. على الأوقاف تعيين الخطباء في الأماكن الشاغرة، مع التأكيد على المهنية الكاملة في اختيار المتقدمين وتعيينهم، وعدم السماح باستمرار "المحسوبيات" داخل الأوقاف، حتى لا ينخرها الفساد.

١٣. على كليات الشريعة والأوقاف والإفتاء القيام بدور تثقيفي ريادي ينفع الخطباء كعقد ملتقيات ومؤتمرات، وإصدار نشرات دورية، ذات صلة بالواقع وتتضمن إجابات شافية على قضايا مهمة، حتى يتمكن الأئمة من إجابة الناس بشكل علمي يحول دون الخطأ في الفتوى قدر الإمكان، كما يحول دون تناقضهم في إجاباتهم.

١٤. على كليات الشريعة استقطاب الطلبة المتفوقين ذوي المعدلات الجيدة لدراسة الشريعة. فعلوم الشريعة فيها تركيز على فلسفة التشريع وروح الاجتهاد والاستنباط، وهذا يحتاج إلى أصحاب العقول المنظمة وليس للطلبة الضعفاء. وإلا تخرج من هذه الكليات من لا يتقنون الاجتهاد، فيحصرون أنفسهم في النقولات التي قد لا يكون لها علاقة بالواقع. ذلك أن فاقد الشيء لا يعطيه. ومن المقترح هنا تبني الطلبة المتفوقين لدراسة الشريعة.

١٥. على الأوقاف الاهتمام بالواعظات، وتطوير عملهن، والتوصية بعمل الدراسات لذلك.

١٦. ثمة توصية بتأسيس جمعية أو نقابة لموظفي الأوقاف، تتابع مطالبهم وحقوقهم وتعمل برامج لتطوير عملهم والنهوض بأدائهم أسوة بسائر المهن والتخصصات.

١٧. ثمة توصية بتشكيل هيئة علمية تهتم باقتراح موضوع الخطبة المناسب، وتضع المحاور الأساسية لها والآيات والأحاديث المناسبة، وتعمل على تزويد الخطباء بذلك بشكل طوعي غير ملزم لهم. ويمكن أن يتم ذلك بالتعاون والتنسيق بين كليات الشريعة ومديريات الأوقاف. كما يمكن أن يفرد لذلك موقع الكتروني تنشر عليه الخطبة المقترحة بعناصرها الرئيسية مع ترك التفاصيل للخطباء أنفسهم. وهنالك توصية كذلك بطباعة خطابات المشاهير الرصينة النافعة وتوزيعها على سائر الخطباء.

١٨. على الأوقاف متابعة الخطباء غير المجيدين لتحسين أدائهم، وإلزامهم بدورات لمعالجة مكامن الضعف لديهم، في مجال العلم الشرعي واللغة وأسلوب الخطابة وأحكام التلاوة.

١٩. من المفيد فتح مجالات جديدة أمام الخطباء في طرق إعداد الخطبة من خلال الدخول على المواقع الإلكترونية المهتمة بالخطابة والمواعظ، وعمل دورات تدريبية للخطباء على

استخدام الحواسيب والإفادة منها، وتشجيع مكتبات المساجد على توفير حاسوب أو أكثر في كل مكتبة إلى جانب الكتب.

٢٠. على كليات الشريعة مراجعة المساقات الفقهية التي تدرسها، وذلك للتركيز على قضايا العصر واحتياجاته وللإجابة على تساؤلات الناس اليومية. إذ لا يمكن أن يحصر المدرس نفسه وطلبته في مسائل وتفريعات وأمثلة لم يعد لها وجود، بينما هو يُعرض عن مناقشة عشرات القضايا الحادثة الجديدة. وبالتالي يتخرج دارس الشريعة لا يعلم منها شيئاً ولا يستطيع الإجابة على أي من تساؤلات الناس لحياتهم التي يعيشونها.

مراجع البحث والكتب المقترحة للتوسع في الموضوع (بالإضافة إلى أمات كتب الحديث والفقه والسيرة المعروفة في الأبواب ذات الصلة)

- أبو زهرة، محمد. (١٩٦٤). الخطابة. أصولها وتاريخها. ط٢. دار الفكر العربي.
- أبو عائش، عبد المنعم. (مشرفاً). (١٩٩٦). فقه الخطابة وزاد الخطيب. ط١. مكة. السعودية.
- أبو العدوس، يوسف. (٢٠٠٧). المهارات اللغوية وفن الإلقاء. دار المسير. عمان. الأردن.
- أبو فارس، محمد. (١٩٨٥). إرشادات لتحسين خطبة الجمعة. دار الفرقان. عمان. الأردن.
- أبو فارس، محمد. وآخرون. (١٩٩٦). الخطابة وأساليب الدعوة. وزارة الأوقاف. فلسطين.
- بلبل، فرحان. (١٩٩٦). أصول الإلقاء والإلقاء المسرحي. مكتبة مدبولي. القاهرة. مصر.
- البيانوني، محمد. (١٩٩٥). المدخل إلى علم الدعوة. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان.
- البيتاوي، حامد. (١٩٨٦). خطب داعية. نابلس. فلسطين.
- البيومي، عبد الحكيم. (١٩٩٦). الرائد في خطب الجمعة والعيدين. الدار المصرية. القاهرة.
- الجماعيني، محمد. (٢٠٠٣). خطب منبرية. دار الريان. فلسطين.
- الخطيب، محمد. (١٣٧٣هجري). خطب الرسول صلى الله عليه وسلم. دار الفضيلة.
- درويش، محمد. (١٩٦٨). الخطابة في صدر الإسلام. دار المعارف. مصر.
- رفاعي، علي. (١٩٧٢). كيف تكون خطيباً. ط٦. مطبعة محمد علي صبيح. القاهرة. مصر.
- زلوم، عبد الرازق. (١٩٨٦). الدعوة إلى الله ذوق وأدب. (بلا مكان)
- زيدان، عبد الكريم. (١٩٨٨). أصول الدعوة. ط٣. الرسالة. بيروت. لبنان.

- الزين، سميح عاطف. (١٩١٦). صفات الداعية. دار الكتاب اللبناني. بيروت.
- السبت، خالد. (١٩٩٥). الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. المنتدى الإسلامي. لندن.
- سعيد، همام. (١٩٩٩). قواعد الدعوة إلى الله. دار الفرقان. عمان. الأردن.
- سليم، محمد. (بلا تاريخ). مرشد الخطيب إلى خطب الجمعة والعيد. مكتبة القرآن. القاهرة.
- الشاعر، ناصر الدين. (٢٠٠٥). الأئمة والوعاظ في فلسطين. مركز البراق. رام الله. فلسطين.
- الشاعر، ناصر الدين. (٢٠٠٤). "العولمة والخطاب الإسلامي". مجلة النجاح للأبحاث-ب (العلوم الانسانية). نابلس. فلسطين.
- شلبي، عبد المعطي. والمقصود. (٢٠٠٦). الخطابة الإسلامية. المكتب الجامعي. الإسكندرية. مصر.
- صقر، عبد البديع. (١٩٨٣). كيف ندعو الناس. دار الاعتصام. القاهرة. مصر.
- صواف، محمد. (بلا تاريخ ومكان). من القرآن إلى القرآن: الدعوة والدعاة.
- العثيمين، محمد بن صالح. (بلا تاريخ). رسالة إلى الدعاة. دار القاسم. السعودية.
- عدس، محمد عبد الرحيم. (١٩٩٥). فن الإلقاء. ط١ . دار الفكر. عمان. الأردن.
- عدوي، محمد. (١٩٩٩) . مفتاح الخطابة والوعظ. دار المعارف. مصر.
- علوان، عبد الله. (بلا تاريخ ومكان). مواقف الداعية التعبيرية.
- فايز، أحمد. (١٩٨١). طريق الدعوة في ظلال القرآن. الرسالة. بيروت. لبنان.
- القرضاوي، يوسف. (١٩٩١). ثقافة الداعية. ط١٢. الرسالة. بيروت. لبنان.
- القرضاوي، يوسف. (٢٠٠٤). خطابنا الإسلامي في عصر العولمة. دار الشروق. القاهرة.
- قرعاوي، فتحي. (١٩٩٣). وسائل الدعوة إلى الله. دار القرآن والحديث. طولكرم. فلسطين.
- القرني، عائض. (٢٠٠١). مملكة البيان. ط١. دار ابن حزم. بيروت.
- كارنيجي، دايل. (١٩٩٩). فن الخطابة. ترجمة رمزي الحسيني. عالم الكتب. بيروت. لبنان.
- كشك، عبد الحميد. (١٩٧٦). إلى فرسان المنابر. مكتبة الصحافة.

- لحام، سعيد. (١٩٨٦). الخطب المنبرية. دار البحار. بيروت. لبنان.
- محفوظ، علي. (بلا تاريخ). هداية المرشد إلى طرق الوعظ والخطابة. دار المعرفة. بيروت.
- مكتبي، نذير. (١٩٩٨). خطب الجمعة. دار البشائر. بيروت. لبنان.
- الهندي، أحمد. (١٩٩٧). العظات الهندية في الخطب المنبرية. دار الريان. نابلس. فلسطين.